عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام

وإرغام المبتدع الجهول: باتباع سنة الرسول

تأليف
خادم الحديث
ابى الفضل عبد الله محمد الصديق
الغماري الحسني
عفي عنه

مكتبة القاهرة
لصاحبها : علي يوسف سليمان
بشارع الصنادقية : ميدان الأزهر بمصر

قال عمر رضى الله عنـــه :

« خذوا أهل الأهواء بالسنن ، فإن القرآن ذو وجوه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

منذ بضع سنوات أصدرنا كتاب « إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان » وكان سبب إصداره فتوى خاطئة كتبها عالم أزهرى بمجلة الرسالة الملحدة . أيد فيها ما يزعمه القاديانية الكفرة فى شأن عيسى عليه السلام . وتحايل على إثبات دعواه فى فتواه بتأويل الآيات القرآنية — الصريح منها والظاهر — تأويلا فاسدا عليه آثار التكلف والتعسف ظاهرة وتحامى الأحاديث المتواترة التى تقضى على تأويله ، وتهدمه من أساسه ، كما تعامى عن أقوال العلماء والمفسرين ، وإجماع الفقهاء والمحدثين ، بل تجاوز هذا إلى تحريف النقول ، وإرغام النصوص بالتهذيب والتشذيب لتوافق ما يقول ، وصرح بالحث على تفسير القرآن بالرأى المجرد ، ولوح بالحض على إهمال الأحاديث والآثار ، وترك الرجوع إليها فى هذا المضمار . وكان هذا كافيا فى إظهار نواياه ، وإبراز خفاياه ، لكننا — مع ذلك — أحسنا به الظن ، وحملنا موقفه الشاذ على محمل حسن . حتى إذا قرأ كتابنا المذكور ورأى ما فيه من الأدلة الدامغة ، كشف قناعه ، وأصحر بالرداءة ، وكتب بضع مقالات يحاحش فيها عن رأيه الكاسد ، وتأويله الفاسد ، فعالجناه بهذا الكتاب ، الذى قضينا فيه على ما أبداه فى مقالاته تلك من أباطيل وتضليلات ، وكشفنا ما فيها من تدليسات وتلبيسات . ونبهنا على غلطه فى فهم بعض الاصطلاحات الكلامية المبنية على القواعد المنطقية ، إلى غير ذلك مما يراه القارئ فى مواضعه مبينا بإيضاح وتفصيل . فهذا الكتاب وإقامة

البرهان صنوان ، لكنهما فى الأسلوب وطريقة الاستدلال مختلفان .

هذا : وقد جرت العادة بإهداء المؤلفات إلى بعض ذوى المقامات العالية ، والمناصب السامية ، لتحرز بالإهداء فخرا وامتيازا ، وتحوز إلى طريق الشهرة والظهور جوازا ، وإنى أهدى مؤلفى هذا إلى صفوة خلق الله ، وخيرته من عباده ، أفضل موجود ، فى عالم الوجود ، سيدنا محمد بن عبد الله عليه صلوات الله ، عسى أن يشملنى بشفاعته ، ويعدنى فى جملة خدَمته ، فشفاعته غاية آمالى ، وخدمته أوثق أعمالى ، والله المسئول يصحح القصد ، وينيل المراد ، وأن يحقق رجاءنا فيه ، ويعطينا ما نبتغيه ، إنه الوهاب الكريم .

أبو الفضل
عبد الله محمد الصديق الغمارى الحسنى
خادم الحديث عفى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والعاقبة للمتقين . ولا عدوان إلا على الظالمين . والصلاة والسلام على أفضل المرسلين . سيدنا محمد الصادق الأمين . وعلى آله الأكرمين . ورضى الله عن صحابته أجمعين . وعمن تبع هدتهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد أخبر النبي ﷺ — وهو الصادق المصدوق — أن عيسى ابن مريم عليهما السلام سينزل فى آخر الزمان مصدقا بسيدنا محمد على ملته فيقتل الدجال الأعور اللعين الذى يدعى الألوهية ، وكذلك يقتل الخنازير أيضا ويكسر الصليب ويقاتل الكفار على الإسلام ولا يقبل منهم الجزية وينتشر فى زمنه الأمن والعدل ويكثر المال حتى لا يقبله الناس وفى وقته يخرج يأجوج ومأجوج ويهلكهم الله بدعائه ، ويمكث فى الأرض ماشاء الله أن يمكث ، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه ، تواتر هذا المعنى تواترا لا شك فيه بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء كالقاديانية ومن نحا نحوهم لأنه نقل بطريق جمع عن جمع حتى استقر فى كتب السنة التى وصلت إلينا تواترا بتلقى جيل عن جيل فقد رواه عن النبي ﷺ أبو هريرة وأبو سريحة حذيفة بن أسيد والنواس بن سمعان وجابر بن عبد الله وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وواثلة بن الأسقع وابن مسعود وحذيفة بن اليمان ومجمع ابن جارية وعبد الله بن مغفل وعائشة وسمرة بن جندب وأنس بن مالك وأبو امامة وعثمان بن أبى العاص وعمار بن ياسر وابن عباس وثوبان ونافع بن كيسان وكيسان بن عبد الله بن طارق وعمرو بن عوف ونافع بن عتبة وأبو برزة وعبد الرحمن بن سمرة وأبو سعيد الخدرى وأم سلمة وعمران بن حصين وأبو الدرداء وأوس بن أوس وغيرهم من الصحابة رضى

الله عنهم ، ثم رواه عن هؤلاء سعيد بن المسيب ونافع مولى أبى قتادة الأنصارى وعطاء بن ميناء وحنظلة بن على الأسلمى وعبد الرحمن بن آدم وسعيد بن ميناء وصالح مولى أبى هريرة ومطير الهلالى وكليب الجرمى وأبو الطفيل - وهو صحابى صغير - والربيع بن عميلة وجبير بن نفير ويعقوب ابن عاصم الثقفى وأبو الزبير وعبدالله بن يزيد وأبو نضرة وعمرو بن عبدالله الحضرمى ومؤثر بن عفازة وربعى بن حراش وأبو صالح وأبو قلابة وعلقمة وأبو يحيى مولى ابن عفراء وعبد الأعلى بن عدى البهرانى وأيوب بن نافع ابن كيسان ونافع بن كيسان بن عبد الله بن طارق وعبد الله بن عمرو بن عوف والحسن البصرى وعروة بن رويم وطاوس وأبو عبد الرحمن الحبلى وغيرهم من التابعين ، ثم رواه عن هؤلاء الزهرى والمقبرى وقتادة وسليم ابن حيان وهشام بن عروة وموسى بن مطير وعاصم بن كليب وفرات القزم وعبد الرحمن بن جبير بن نفير والنعمان بن سالم وابن جريج وابن ليلى وعبد الله بن ثعلبة الأنصارى وعلى بن زيد بن جدعان ويحى بن أبى عمرو السيبانى وجبلة بن سحيم وأبو حازم الأشجعى والحضرمى بن لاحق وأيوب وابراهيم وسعيد بن خثيم ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس ولقمان بن عامر الوصابى وعبد الرحمن بن أيوب وربيعة بن ربيعة وكثير بن عبد الله وعمرو بن سفيان الثقفى والربيع وأبو رزين وعبد العزيز بن رفيع وعبد الرحمن ابن زياد الأفريقى وغيرهم ، ثم رواه عن هؤلاء صالح بن كيسان وسفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس ومحمد بن أبى حفصة وابن أخى الزهرى وابن أبى ذئب والأوزاعى وعبيد الله بن عمر وسفيان بن حسين وهمام ويحيى بن أبى عروبة وسعيد بن أبى عروبة وهشام الدستوائى وكعب

أبو عبد الله البصرى وعفان بن مسلم وأبو داود الطيالسى صاحب المسند
وصالح بن عمر ويحيى بن جابر الطائى قاضى حمص وشعبة وحجاج بن محمد
ومعمر صاحب كتاب الجامع وأبو زرعة السيبانى وحماد بن زيد وصدقة
ابن المنتصر والعوام بن حوشب وأبو مالك الأشجعى ويحيى بن أبى كثير
ومغيرة والخليفة أبو جعفر المنصور ومحمد بن الوليد الزبيدى والوليد بن
مسلم وإسماعيل بن أبى أويس وأبو جعفر وعاصم أحد أئمة القراء وغيرهم،
ثم رواه عن هؤلاء جمع غفير لا يكاد يحصى منهم إبراهيم بن سعد الزهرى
وعلى بن المدينى وقتيبة بن سعيد وابن بكير وعبد الرزاق صاحب المصنف
وعثمان بن عمر وعمرو بن محمد العنقزى وروح ويزيد بن هرون وهدبة
ابن خالد وبشر بن معاذ وجعفر الصائغ ويونس بن محمد ومعاذ العنبرى
وغندر والوليد بن شجاع وهرون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر وعبد
الرحمن المحاربى واسماعيل بن رافع وسعيد بن هبيرة ومحمد بن إبراهيم العبدى
وعمران بن أبى عمران الصوفى وهشيم ومحمد بن بشار وخلف بن خليفة
وسعيد بن سليمان الواسطى وشيبان بن عبد الرحمن والحسن بن موسى
الأشيب وعباد بن منصور واسماعيل بن عياش وعبيد الله بن عبد الصمد
ابن المهتدى وبقية بن الوليد وأبو النضر وهشام بن خالد وبهلول بن اسحق
ومحمد بن جعفر الإمام والمثنى وهشام بن عمار ومحمد بن الحسن بن الخليل
ثم تلقاه أصحاب الكتب المؤلفة فى السنة ودونوه فى مؤلفاتهم على اختلاف
أنواعها ودرجاتها فرواه من أصحاب المسانيد : أبو داود الطيالسى واسحق
ابن راهويه وأحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة وأبو يعلى والبزار والديلمى
وغيرهم ورواه من أصحاب الصحاح : البخارى ومسلم وابن خزيمة وابن

حبان والحاكم وأبو عوانة والإسماعيلي والضياء المقدسي وغيرهم ورواه من أصحاب الجوامع والمصنفات معمر وعبد الرزاق وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم ورواه من أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وسعيد بن منصور والبيهقي وأبو عمرو الداني وغيرهم ورواه من أصحاب التفسير المأثور عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر وابن منده وغيرهم ورواه من أصحاب المعاجم الطبراني وغيره ورواه من أصحاب الأجزاء والغرائب والمعجزات ومعاني الأخبار وطبقات الرجال والملاحم وغير ذلك أبو سعيد النقاش وابن أبي الدنيا والدارقطني وأبو الشيخ ابن حيان والطحاوي وأبو نعيم وابن عدي والثعلبي والخطيب البغدادي وابن النجار وابن عساكر ونعيم بن حماد والترمذي الحكيم وغيرهم . ومما لا نزاع فيه أن العادة قاطعة باستحالة أن يتواطأ هذا الجمع العظيم — من الصحابة والتابعين واتباعهم وحملة الحديث النبوي — على الكذب والخطأ أو أن يقع ذلك منهم اتفاقا من غير تواطؤ بل العادة تحيل الكذب والخطأ على جمع أقل من هذا الجمع حتى أن جماعة من العلماء منهم ابن حزم قرروا أن الحديث إذا اجتمع على روايته خمسة من الصحابة كان متواترا ونظرهم في ذلك قوي سديد لأن الصحابة كانوا على أكمل حال من العدالة والضبط والإتقان لا يدانيهم في ذلك أحد، هذا إلى ما ميزهم الله به من فصاحة اللسان وسيلان الأذهان وطهارة الجنان ، مع ما فطروا عليه من حب الصدق واستهجان الكذب والنفرة عن سفاسف الأمور وغير ذلك مما أهلهم لصحبة النبي عليه السلام ونصرة دينه وتبليغ شريعته إلى أمته وقد أخرج أحمد في السنة والبزار والطبراني في الكبير بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود

رضى الله عنه قال : إن الله عز وجل نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء ، ولما أراد أبو بكر رضى الله عنه أن يجمع القرآن حين استحر بالقتل بالقراء فى وقعة اليمامة قال لعمر وزيد رضى الله عنهما من جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه قال زيد بن ثابت فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة وأبو خزيمة الأنصارى هو خزيمة بن ثابت جعل النبى ﷺ شهادته بشهادة رجلين فكان يسمى ذا الشهادتين رضى الله عنه ، فالصديق رضى الله عنه اكتفى بشهادة اثنين فى القرآن الذى هو أصل الدين وأساس اليقين ومنكر شيء يكفر بإجماع المسلمين لعلمه بما كان عليه الصحابة من شدة التحرز والتيقظ والتثبت بحيث إذا اجتمع اثنان منهم على رواية شيء لم يبق للوهم والخطأ فيه احتمال فما ظنك بحديث يرويه جمع من الصحابة يزيد عددهم على عشرين ، يتلقاه عنهم مثلهم من التابعين ثم مثلهم من تابعى التابعين وهلم ؟ لاشك أنه يكون متواترا على جميع الاصطلاحات المقررة ولا يمكن أن يحوم حوله قول من نفى التواتر أو ادعى قلته لأنه قول صدر عن قلة الاطلاع وعدم التروى فكان نصيبه مخالفة الواقع ومجانبة الحقيقة وكان حقيقاً بالإهمال جديرا بعدم الاعتبار والمستدل به على نفى تواتر حديث مخصوص كما فعل بعض جهلة المبتدعة اليوم

فى محاولته نفى تواتر نزول عيسى عليه السلام يكون بالغاحد المنتهى فى الجهل والضلال فإنه لا أجهل ولا أضل ممن يتعامى عن الحقيقة ماثلة بين يديه واضحة مدرسة ويحاول نفيها بقول فلان وفلان ويرحم الله البوصيرى حيث يقول :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

فصل : وقد صرح جم غفير من العلماء بتواتر حديث نزول عيسى عليه السلام فمنهم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى قال فى الكلام على قول الله تعالى : (إنى متوفيك ورافعك إلى) بعد نقله روايات فى التوفى مانصه : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك إنى قابضك من الأرض ورافعك إلى لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال ينزل عيسى بن مريم اﻫ. ثم روى أحاديث فى النزول ، ومنهم الحافظ أبو الحسين الآبرى قال فى كتاب مناقب الشافعى أثناء الكلام على إبطال حديث « لامهدى إلا عيسى بن مريم » وإثبات أن المهدى غير عيسى مانصه : وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ فى المهدى أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفه فى طول من قصته وأمره اﻫ نقله الإمام القرطبى فى التذكرة والحافظ ابن حجر فى فتح البارى وسلماه ، ومنهم الإمام الفقيه أبو الوليد ابن رشد وسيأتى كلامه بحول الله ، ومنهم الإمام ابن عطية قال فى تفسيره ما نصه وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى فى السماء حى وأنه ينزل فى آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال

ويفيض العدل وتظهر به ملة محمد ﷺ ويحج البيت ويعتمر اهـ نقله الإمام أبو حيان فى البحر المحيط وسلمه ، ومنهم الحافظ ابن كثير فقد صرح بالتواتر فى مواضع من تفسيره منها عند الكلام على قوله تعالى فى سورة النساء (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وأورد جملة وافرة من أحاديث النزول ومنها عند الكلام على قوله تعالى فى سورة الزخرف (وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) وكذلك صرح بالتواتر فى تاريخه البداية والنهاية وتوسع فى إيراد الأحاديث فليراجع ولعلنا ننقل كلامه فيما بعد إن شاء الله ، ومنهم العلامة محمد بن على الشوكانى ألف كتابا خاصا فى هذا المعنى سماه « التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح » وهو مطبوع بالهند أورد فيه طرق كل من حديث المهدى ونزول عيسى وخروج الدجال وقال بعد إيرادها ما نصه : فتقرر أن الأحاديث الواردة فى المهدى المنتظر متواترة والأحاديث الواردة فى الدجال متواترة والأحاديث الواردة فى نزول عيسى بن مريم متواترة اهـ ومنهم السيد صديق بن حسن القنوجى صرح بالتواتر فى كتابه « الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة » ناقلا كلام الشوكانى وغيره وهو مطبوع بالهند أيضا ، ومنهم شيخنا وشيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث السيد محمد ابن جعفر الكتانى رحمه الله أورد نزول عيسى فى كتابه « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » وذكر جماعة من الصحابة الذين نقلوه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع والأحاديث فى نزوله كثيرة اهـ وكتابه مطبوع بفاس فليراجع ، ومنهم العلامة المحدث الشيخ محمد أنور الكشميرى الديوبندى رحمه الله ألف

كتابا خاصا سماه «التصريح بتواتر نزول المسيح» وتوسع فى إيراد الأحاديث بأسانيدها توسعا بالغا فأفاد وأجاد وكتابه مطبوع بالهند يتعين الوقوف عليه وصرح بنزول عيسى أيضا فى كتابه «إكفار الملحدين فى ضروريات الدين» وهو مطبوع بالهند أيضا وقال العلامة المحدث أبو الطيب محمد شمس الحق فى عون المعبود ما نصه : تواترت الاخبار عن النبى ﷺ فى نزول عيسى بن مريم ﷺ من السماء بجسده العنصرى إلى الأرض عند قرب الساعة وهذا هو مذهب أهل السنة اهـ ثم ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة الصريحة فهؤلاء عشرة من العلماء أو يزيدون صرحوا بتواتر نزول عيسى عليه السلام وهم بعض من كل وقل من كثر ولو ذهبنا نتتبع أقوال العلماء واحداً واحداً طال الحال وأدى إلى الملال فاجتزأنا بهذا القدر الذى يكفى من جنبه الله داء البدع ورزقه العلم والورع .

فصل : وقد ثبت القول بنزول عيسى عليه السلام عن غير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على ممر الزمان إلى وقتنا هذا ونحن نشير إلى شىء من كلامهم مما يكون فيه إرشاد إلى سائره ودلالة عليه إذ إحصاء كلامهم جميعا يحتاج إلى فراغ وقت وهدوء بال وذلك غير متيسر الآن فمن الصحابة أبو هريرة رضى الله عنه والأثر عنه بذلك مشهور مستفيض وهو فى الصحيحين والسنن وفى الكلام على عيسى من تاريخ ابن كثير وفى الكلام على قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وقوله تعالى (وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) من تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرهما ومنهم ابن عباس رضى الله عنهما والآثار عنه كثيرة وهى فى تفسير ابن جرير وابن كثير والدر المنثور وغيرها ومنهم أبو سريحة

حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أخرج الحاكم وصححه عن أبى الطفيل قال كنت بالكوفة فقيل قد خرج الدجال فأتينا حذيفة بن أسيد فقلت هذا الدجال قد خرج فقال اجلس فجلست فنودى إنها كذبة صباغ فقال حذيفة إن الدجال لو خرج زمانكم لرمته الصبيان بالخزف ولكنه يخرج فى نقص من الناس وخفة دين وسوء ذات بين فيرد كل منهل وتطوى له الأرض طى فروة الكبش حتى يأتى المدينة فيغلب على خارجها ويمنع داخلها ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذى عليهم ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه ، ومنهم عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أخرج ابن أبى شيبة عنه قال : ينزل عيسى بن مريم فإذا رآه الدجال ذاب كما تذوب الشحمة فيقتل الدجال ويفرق عنه اليهود فيقتلون حتى إن الحجر ليقول يا عبد الله - للمسلم - هذا يهودى فتعال فاقتله ، ومنهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أخرج ابن عساكر عنه قال : إن المسيح بن مريم خارج قبل يوم القيامة ، ومنهم أم سلمة رضى الله عنها أخرج ابن المنذر عن شهر بن حوشب قال : قال لى الحجاج يا شهر آية من كتاب الله ما قرأتها إلا اعترض فى نفسى منها شىء قال الله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وإنى أوتى بالأسارى فأضرب أعناقهم ولا أسمعهم يقولون شيئاً فقلت رفعت إليك على غير وجهها إن النصرانى إذا خرجت روحه ضربته الملائكة من قبله ومن دبره وقالوا أى خبيث إن المسيح الذى زعمت أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة عبد الله وروحه وكلمته فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان وإن اليهودى إذا خرجت روحه ضربته الملائكة من قبله ومن

دبره وقالوا أى خبيث إن المسيح الذى زعمت أنك قتلته عبد الله وروحه فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان فإذا كان عند نزول عيسى آمنت به أحياؤهم كما آمنت به موتاهم فقــال من أين أخذتها فقلت من محمد بن على قال لقد أخذتها من معدنها قال شهر وايم الله ما حدثنيه إلا أم سلمة ولكنى أحببت أغيظه اهـ. أى بذكر على رضى الله عنه لأن الحجاج كان يكرهه ، ومنهم عبد الله بن سلام الذى قال عنه سعد بن أبى وقاص : ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض «إنه من أهل الجنة» إلا لعبد الله بن سلام رواه الشيخان ، أخرج الترمذى من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : مكتوب فى التوراة صفة محمد ﷺ وعيسى بن مريم عليهما السلام يدفن معه قال أبو مودود : وقد بقى من البيت موضع قبر ، قال الترمذى : حديث حسن غريب ورواه الطبرانى من هذا الطريق أيضا بلفظ يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعا ، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخرج الإمام أحمد باسناد صحيح عن جابر قال : إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون هو الدجال وذكر حديث ابن صياد وتردد النبى ﷺ فى شأنه وفى آخره فقال عمر ابن الخطاب ائذن لى يا رسول الله — يعنى فى قتله — فقال رسول الله ﷺ «إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم وإلا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد» قلت نحن نقطع بأن ما أفاده هذا الحديث من قتل عيسى للدجال هو اعتقاد عمر رضى الله عنه لأنه لم يكن ليترك شيئا سمعه من رسول الله ويعتقد خلافه

وكذلك نقطع بأن الصحابة الذين رووا نزل عيسى عليه السلام كانوا يعتقدونه حقا واقعا لا يخالجهم فيه شك ولا يداخلهم فيه تردد ومن لم يقطع بهذا فهو جاهل بالصحابة غير عارف مقدار حرصهم على التمسك بكلام رسول الله ﷺ ، وأما التابعون وتابعوهم فأكثر من أن يحصيهم عاد حاسب. منهم سعيد بن المسيب والحسن البصري وزيد بن أسلم وقتادة ومجاهد ومحمد بن الحنفية وشهر بن حوشب والسدى والضحاك وأبو مالك وابن زيد وأبو العالية وابن سيرين وأرطاة وكعب الحبر والآثار عنهم كثيرة يطول تتبعها فلينظرها من أرادها فى تفسير قوله تعالى (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) وقوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) وقوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وقوله تعالى (وأنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) من الكتب الآتية تفسير ابن جرير وابن كثير والقرطبي وأبي حيان والدر المنثور والآلوسى وغيرها وانظر ص ٢١٨ ج ٢ من أحكام القرآن لأبى بكر ابن العربى الحافظ ، وأما الأئمة وغيرهم من العلماء فكثيرون جدا . منهم الإمام مالك قال فى العتبية: بينما الناس قيام يستمعون لإقامة الصــلاة . فتغشاهم غمامة فإذا عيسى بن مريم نزل اهـ نقله الإمام الباجى فى شرح الموطأ والعلامة الأبى فى شرح مسلم وهــذه الرواية هى الصحيحة عن مالك لموافقتها للأحاديث والآثار ولهذا قبلها كبار أهل المذهب كالباجى ولم يؤولوها بشىء بخلاف رواية موت عيسى فإنها باطلة لمخالفتها للأحاديث والآثار ولهذا أولها أبو الوليد ابن رشد كما سيأتى ومنهم الإمام أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن قال أبو جعفر الطحاوى فى كتابه « اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد بن الحسن » مانصه: ونؤمن بخروج الدجال الأعور

اللامين ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام من السماء ا هـ . ومنهم الإمام أحمد أخرج ابن أبي يعلى في الطبقات والخلال وابن الجوزي في المناقب عن عبدوس بن مالك أبي محمد العطار قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السنة ثم قال ما نصه: والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد ا هـ. وصرح بهذا أيضا في الرسالة التي كتبها إلى مسدد في بيان سنة النبي ﷺ انظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ومنهم أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة قال في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ما نصه جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئا وذكر طائفة من عقائدهم إلى أن قال : ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله وقال في آخر العقيدة وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب ا هـ : ومن أراد الوقوف على بقية كلامه فلينظر كتابه المذكور وهو مطبوع بالآستانة ولينظر كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم فقد نقـــل في أوله كلام الأشعري بتمامه مستدلا به لما حكاه من إجماع أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان اليوم، ومنهم الإمام أبو محمد ابن حزم الحافظ صرح بنزول عيسى في غير موضع من كتبه انظر ص ٢٤٩ جـ ٣ من الفصل و ص ٩ جـ ١ وص

٢٩٦ وص ٢٩١ ج ٧ من المحلى وقال أيضا فى كتابه « إبطال التقليد » مانصه : وأيضاً فما الذى خص أبا حنيفة ومالكا والشافعى بأن يقلدوا دون أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن عمر وعائشة ودون سعيد بن المسيب والزهرى والنخعى والشعبى وعطاء وطاوس والحسن البصرى رحمه الله على جميعهم وأيضا فان هذه الطوائف كلها مقرة بأن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل ويحكم فى أهل الأرض فهل يحكم إذا نزل برأى أبى حنيفة أو مالك أو الشافعى ؟ معاذالله ! بل يحكم بما أوحى الله إلى أخيه صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذى ندعو إليه والذى لايحل لأحد أن يحكم ولا أن يفتى ولا يدين بسواه اه : نقله الحافظ السيوطى فى كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض » ص ٥٥ طبع الجزائر ، ومنهم الإمام ضياء الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم الأنصارى القرطبى قال فى كتاب « المفهم شرح صحيح مسلم » فى الكلام على قوله فى حديث جبريل الطويل : فأخبرنى عن أمارتها مانصه وهى — أى أمارات الساعة — تنقسم إلى معتاد كالمنكرات وكرفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر وغير معتاد كالدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها اه . نقله العلامة الأبى فى شرح مسلم وقال عقبه مانصه قلت قال ابن رشد واتفقوا على أنه لابد من ظهور هذه الخمسة — يعنى الدجال وما بعده — واختلفوا فى خمسة أخر خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان ونار تخرج من قعر عدن تروح معهم حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا زاد بعضهم : وفتح قسطنطينية وظهور المهدى اه . ومنهم الإمام

القاضى أبو بكر ابن العربى المعافرى صرح بنزول عيسى فى أحكام القرآن ص ٤٤ جا وفى شرحه على الترمذى المسمى « عارضة الأحوذى » وسننقل بعض كلامه فيما بعد بحول الله، ومنهم الإمام الشهرستانى قال فى الملل والنحل أثناء الكلام على اختلاف النصارى فى عيسى عليه السلام ما نصه ولهم فى النزول خلاف فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام اه. ومنهم الإمام أبو القاسم السهيلى الحافظ صرح بنزول عيسى فى كتابه « الروض الأنف » وهو مطبوع وقد نقل كلامه مع الموافقة عليه الإمام أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله اليعمرى الأندلسى الإشبيلى الحافظ المعروف بابن سيد الناس فى سيرته المسماة عيون الأثر لما تكلم على خبر سلمان الفارسى رضى الله عنه ص ٦٥ و٦٦ جا، ومنهم القاضى أبو الفضل عياض قال فى شرح صحيح مسلم ما نصه: نزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى تلك وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى (وخاتم النبيين) وبقوله ﷺ « لا نبى بعدى » وبإجماع المسلمين أنه لا نبى بعد نبينا محمد ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ، وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا ولا فى هذه الأحاديث ولا فى غيرها شىء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق فى كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس اهـ. نقله الإمام النووى فى شرح مسلم ووافقه عليه، وقد ورد عن المغيرة بن شعبة فى الجمع بين آية خاتم النبيين وأحاديث النزول غير ما سلكه هؤلاء المبتدعة فروى

الطبرانى من طريق مجالد بن سعيد الشعبي قال قال رجل عند المغيرة ابن شعبة صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده فقال المغيرة حسبك أن تقول خاتم الأنبياء فانا كنا نحدث أن عيسى بن مريم خارج فان كان خارجا فقد كان قبله وبعده ، وهذا الأثر ضعيف الإسناد لا يصح وقد كان المغيرة ذكياً بالغا حد الدهاء فلا يخفى عليه أن نزول عيسى تابعاً لنبينا وعاملا بشريعته لا ينافى حديث « لا نبي بعدى » كما مر فى كلام عياض آنفاً وقد قال القاضى ابن بكر ابن العربى : يروى أنه يصلى وراء إمام المسلمين إبقاء لشريعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعا له وإخزاء للنصارى وإقامة للحجة عليهم ا ه بل قال المحقق الدوانى فى شرح العقائد العضدية ما نصه : وأما نزول عيسى عليه السلام ومتابعته لشريعته فهو مما يؤكد كونه خاتم النبيين ا ه : والقاديانية خذلهم الله ينسبون أثر المغيرة إلى عائشة كذبا عليها ويحذفون منه خروج عيسى عليه السلام ليتسنى لهم أن يقولوا أن خاتم النبيين - بفتح التاء لا يدل على انقطاع النبوة ناسين قراءة خاتم - بكسر التاء - وهى تعين الآخرية كما لا يخفى ، ومنهم العلامة نجم الدين النسفى قال فى العقائد النسفية ما نصه وما أخبر به النبى عليه الصلاة والسلام من أشراط الساعة من خروج الدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام من السماء وطلوع الشمس من مغربها فهو حق ا ه . قال شارحه العلامة سعد الدين التفتازانى ما نصه لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق ثم ذكر حديث حذيفة بن أسيد — وهو فى صحيح مسلم — ثم قال والأحاديث الصحاح فى هذه الأشراط كثيرة جداً فقد روى أحاديث وآثار فى تفاصيلها وكيفياتها فلتطلب من كتب التفسير والتواريخ ا ه وقال السعد أيضا فى شرح المقاصد ما نصه وطريقة أهل

السنة أن العالم حادث والصانع قديم متصف بصفات قديمة لاشبيه له ولاضد ولاند ولانهاية له ولا صورة إلى أن قال وأن أشراط الساعة من خروج الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض حق اهـ . ومنهم الحافظ ابن حجر صرح بنزول عيسى فى غير موضع من كتبه من ذلك قوله فى « باب نزول عيسى » من فتح البارى ما نصه قال العلماء الحكمة فى نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذى يقتلهم أول نزوله لدنو أجله ليدفن فى الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت فى غيرها وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل فى آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله والأول أوجه وذكر أحاديث فى مدة إقامته بعد نزوله ثم قال : وروى أحمد وأبو داود باسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة مرفوعا « ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام » وذكر الحديث وقال فى آخره « ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » اهـ. وهذا الحديث أحد الأدلة على حياة عيسى الآن وكلام الحافظ يفيدها أيضا وسيأتى تحقيق ذلك إن شاء الله ، ومنهم الحافظ السيوطى صرح بنزول عيسى فى علم العقائد من النقاية وهو مطبوع بهامش مفتاح العلوم وفى تكملة تفسير الجلال المحلى وفى « العرف الوردى فى أخبار المهدى » بل ألف كتابا خاصا سماه (الإعلام بحكم عيسى عليه السلام) صرح فيه بكفر منكر نزول عيسى عليه السلام وهذا الكتاب والذى قبله مطبوعان فى ضمن كتاب (الحاوى للفتاوى) ومنهم الإمام الكمال ابن الهمام قال فى (المسايرة

فى العقائد المنجية فى الآخرة »: وأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء وخروج يأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها حق اﻫ . قال شارحه الكمال ابن أبى شريف ما نصه وردت به النصوص الصريحة الصحيحة اﻫ. ومنهم سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردى قال فى « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » فى الكلام على أشراط الساعة ما نصه : المسلمون لا يختلفون فى نزول عيسى بن مريم عليهما السلام آخر الزمان وقد قيل فى قوله تعالى (وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) أنه نزول عيسى اﻫ. ثم ذكر بعض الأحاديث ومنهم العلامة السفارينى قال فى « الدرة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية »

وما أتى فى النص من أشراط ... فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح ... محمد المهدى والمسيح

وقال فى شرحها المسمى « لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية » قد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من على الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت نبوته قائمة به وهو متصف بها اﻫ. ومنهم خير الدين السيد نعمان الآلوسى ابن صاحب التفسير قال فى غالية المواعظ فى « المجلس السادس عشر » فى أمارات الساعة من حديث جبريل عليه السلام ما نصه ومنها العلامة الثالثة وهى نزول عيسى عليه السلام من السماء وذلك ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمه ، ثم ذكرها فلتنظر هناك .

وقال الحافظ السيوطى فى « تحفة المجتهدين بأسماء المجددين » :

وآخر المئين فيه يأتى ... عيسى نبى الله ذو الآيات
يجدد الدين لهذى الأمة ... وفى الصلاة بعضنا قد أمه
مقرر لشرعنا ويحكم ... بحكمنا إذ فى السماء يعلم

وقال العلامة الشيخ عبد الله ابن الحاج ابراهيم الشنقيطى فى « روضة النسرين » :

نزوله للأرض مثل الشمس ... لأنه سما مقام القدس
خمس وأربعون فى المنتظم ... وغيره يمكث نجل مريم
أو مكثه سبع كما فى مسلم ... أو أربعين والصحيح قدم

وقال أبو عبد الله الغافقى الأندلسى .

يا بيت عائشة المسكن ثلاثة ... نظموا به نظم الطراز الأوحد
مثوى النبى وصاحبيه وفسحة ... عيسى بن مريم نالها بالموعد
بوركت من بيت يضم رسالة ... ونبوة وخلافة فى ملحد

وممن صرح بنزول عيسى عليه السلام أصحاب التفسير فى الكلام على الآيات التى أشرنا إليها فيما تقدم كابن جرير والبغوى وابن عطية والفخر الرازى والزمخشرى — وهو من كبار المعتزلة — والقرطبى وابن كثير والخازن وأبى حيان والآلوسى وغيرهم كما صرح به أيضاً الحافظ عبد الغنى المقدسى فى كتاب أشراط الساعة والحافظ ابن عساكر فى تاريخ الشام — وهو من مخطوطات المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية — والتقى السبكى فى رسالة لتعظيم والمنة وغيرها والدميرى فى مبحث الخنزير من حياة الحيوان والحافظ السجاوى فى كتابه فى أشراط الساعة والإمام المهدى لدين الله أحمد بن المرتضى فى كتابه « البحر

الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار» وهو من أمتع الكتب وأنفسها ومحي الدين ابن العربي الحاتمي في الفتوحات المكية وصدر الدين القونوي في كتاب «إعجاز البيان في تفسير أم القرآن» وهو مطبوع بآستانة وابن حجر الهيتمي الفقيه في فتاوة الحديثية والفقهية وفي الصواعق المحرقة وغيرها والنفراوي في شرح الرسالة والبرزنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة والعارف الشعراني في غير موضع من كتبه ونور الدين الحلبي في السيرة والشيخ عبدالله الشرقاوي في شرح التجريد الصريح وفي شرح ورد البكري والعلامة ابن الحاج في حاشيته على الرشد المعين ناقلا فيه الاتفاق وصفي الدين القشاشي المدني في أرجوزته في العقيدة وتلميذ تلميذه العلامة الشيخ علي بن أحمد الدمياطي في كتابه «الذخائر المهمات في ذكر ما يجب على المكلف الإيمان به من المسموعات» وهو كتاب خاص بأشراط الساعة الصغرى والكبرى وبما يقع بعد الساعة وبعد الموت وقد عقد فيه بالإثبات نزول عيسى عليه السلام كما عقد لكل شرط من الأشراط الكبرى بابا وفرغ من تأليفه سنة ١١٩٠ كما رأيته مكتوبا في آخر النسخة التي وقفت عليها من هذا الكتاب والشيخ الصبان في كتابه «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين» والشيخ حسن العدوي الحمزاوي في كتابه «مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار» والشيخ عبد الحكيم في حاشيته على العقائد النسفية والشيخ عبدالحي اللكنوي في مقدمة «الفوائد البهية» وغيرهم ممن لا يحصون وفيهم سنيون وشيعيون ومعتزليون وبالجملة فنزول عيسى عليه السلام مجمع عليه كما تقدم في كلام الأشعري وابن رشد وابن عطية والشهرستاني وابن الوردي والسفاريني وابن الحاج والخلاف الذي أشار إليه ابن حزم وعياض خلاف شاذ عن شخص

مجهول فلا يعتد به ولا يكون فى نفسه صحيحا ونحن نطالب هذا المبتدع الجاهل الذى فارق الإجماع بانكار نزول عيسى فى فتواه الخاطئة أن يذكر لنا شخصا معينا وافقه على ما قال وتمهله سنة كاملة فإنه لا يستطيع — ولن يستطيع — إلى ذلك سبيلا ثم استدركنا فوجدنا له سلفاً فى بدعته وجهالته وهم ثلاثة معينون أولهم محمد عبده المصلح الدينى العظيم !! الذى كان من ثمرات إصلاحه أن أباح الربا القليل ولبس البرنيطة وورق اليانصيب وأكل الموقوذة وثانيهم تلميذه ذو المبادىء المتعددة والأهواء المختلفة رشيد رضا صاحب المنار وثالثهم الدكتور صدقى الذى كان يدعو معلنا على صفحات المنار وغيرها إلى ترك السنة النبوية وإسقاطها عن درجة الحجية والاعتبار هؤلاء الثلاثة الفرسان هم سلفه فيما قال وأئمته . أما الشيخ الزنكلوانى والشيخ عبد الوهاب النجار فهما مثله مقلدان فى الانكار وإن كانوا جميعا قد اشتركوا فى الجهل بالسنة النبوية والبعد عن معرفة علومها وما يتصل بها إلا صاحب المنار فانه كانت له خبرة بالحديث لكنه كان يجارى شيخه وصديقه فى أهوائهما مداهنة ونفاقا ويتكلف فى رد الأحاديث التى تصادمها بالتضعيف أو التأويل أو يجعلها إسرائيلية وإن كانت هى فى الواقع نبوية محمدية فانحط بذلك قدره وسقط من أعين العلماء الذين انخدعوا به أول الأمر وكانوا يعدونه شيئاً فإذا هو شىء لا يعبأ به ومن الحكم المأثورة عن أرسطو قوله فى حق أستاذه ومعلمه : أحب الحق وأحب أفلاطون ما اجتمعا فاذا اختلفا كان الحق أحب إلى .

فصل ثم إن الأحاديث التى دلت بالتصريح على نزول عيسى عليه السلام تدل بالاقتضاء على حياته وأنه فى السماء لأنه لو كان ميتا لكان لا بد

من إحيائه وخروجه ليقتل الدجال واليهود ثم يموت أيضا فيكون قد مات وأحيي أكثر من مرتين وذلك مخالف لقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) ولقوله تعالى (وقالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) الآية ولو دل نص على موته لقلنا به وخصصناه من هذا العموم لكن النصوص دالة على حياته كما سيأتى ، وأما كونه فى السماء فلأن لفظ النزول والهبوط يقتضيانه ، ولأنه لو كان فى الأرض لعرف محله ولوجب عليه أن يسعى إلى رسول الله ﷺ حين بعثه ويؤمن به ويجاهد معه تنفيذاً للميثاق الذى أخذه الله عليه وعلى جميع الأنبياء ، وقد قال صاحب «عون المعبود» بعد أن ذكر جملة من أحاديث النزول مانصه : فلا يخفى على كل منصف أن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأرض حكما مقسطاً بذاته الشريفة ثابت بالأحاديث الصحيحة والسنة المطهرة واتفاق أهل السنة وأنه الآن حى فى السماء لم يمت بيقين اه . ثم ذكر الآيات المتعلقة بذلك هذا وفى المسئلة أدلة غير ماذكرنا منها قوله تعالى : (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) قال الحسين بن الفضل البجلى إن المراد بقوله وكهلا أن يكون كهلا بعد أن ينزل من السماء فى آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال قال وفى هذه الآية نص فى أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض اهـ . وقال الآلوسى بعد أن بين معنى الكهل مانصه : وعلى ماذكر فى سن الكهولة يراد بتكليمه عليه السلام كهلا تكليمه لهم كذلك بعد نزول من السماء وبلوغه ذلك السن بناء على ما ذهب إليه سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وغيرهما أنه عليه السلام رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنه سينزل إلى الأرض ويبقى حيا فيها أربعا

وعشرين سنة كما رواه ابن جرير بسند صحيح عن كعب الأحبار ويؤيدهذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد فى الآية قال : قد كلمهم عيسى فى المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل اه . والصحيح أن عيسى يمكث فى الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما دل عليه الحديث الصحيح وفى الآية نكتتان لطيفتان الأولى الإخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلا وقد قال المفسرون إن هذا وعد من الله بأنه سيعيش إلى سن الكهولة وهو معنى صحيح وفى الآية مع هذا معنى آخر لم يعرجوا عليه وهو الاشارة إلى أن كلامه كهلا يأتى على خلاف المعهود فإن الناس يتكلمون كهولا وشبابا ليس فى ذلك ما يدعو إلى العجب ولكن العجيب فى شأن عيسى عليه السلام أن يرفع شابا ويغيب مئات السنين فى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجسمانية ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلا لا جرم أن هذا أمر غريب استحق لغرابته أن ينوه الله به فى آيتين من كتابه بطريق البشارة والامتنان ولذا قابله بأمر لا يقل عنه غرابة وهو كلامه فى المهد فاشتملت الآية على معجزتين عظيمتين وإلى هذا أشار أحمد بن يحيى ثعلب إمام الكوفيين فى النحو واللغة حيث قال : ذكر الله لعيسى آيتين تكلم الناس فى المهد فهذه معجزة والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد ﷺ فهذه الآية الثانية اهـ قوله ابن ثلاثين سنة سبق لسان عن قوله أربعين لأن عيسى عليه السلام نبىء ابن ثلاثين ورفع ابن ثلاث وثلاثين وبضعة أشهر كما هو معلوم . والثانية التعبير بالناس حيث قال تعالى (ويكلم الناس) ولم يقل بنى اسرائيل أو قومه مع أن المعهود فى كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل اليهم خاصة للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان واقرأ قوله تعالى فى البشارة بعيسى (ورسولا إلى بنى إسرائيل) وانظر كيف خص رسالته

بقومه ثم قابله بقوله تعالى فى البشارة به أيضا (ويكلم الناس فى المهد وكهلا
تجد بينهما تخالفا بالخصوص والعموم مع أنهما فى سياق واحد فليس هذا
التخالف للتفنن فى التعبير كما يتوهم من لا تحصيل عنده بل للنكتة التى أبديناها
وللإشارة إلى أن كلامه فى المهد وكهلا ليس بوصف كونه رسولا فتأمل هذا
جيدا فإنه من أسرار الكتاب الكريم وهو مما فتح الله به على قله الحمد حمدا
كثيرا ، ومنها قوله تعالى (إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك
من الذين كفروا) أخرج عبد الرازق وابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال
متوفيك من الأرض وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق آخر عن الحسن
فى قوله إنى متوفيك يعنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه قال الحسن قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لليهود « إن عيسى لم يمت وإنه راجع اليكم قبل
يوم القيامه » وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن مطر الوراق فى الآية قال
متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من
طريق ثالث عن الحسن فى الآية قال رفعه الله إليه فهو عنده فى السماء وأخرج
ابن جرير بسند صحيح عن كعب قال : لما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من
كذبه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه إنى متوفيك ورافعك إلى وإنى سأبعثك
على الأعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة ثم أميتك
ميتة الحى قال كعب وذلك تصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال « كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها » وأخرج ابن جرير
عن الربيع مثل قول الحسن الثانى ، وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن
ابن جريج قوله إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا قال فرفعه
إليه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا وأخرج ابن جرير عن محمد بن

جعفر بن الزبير ياعيسى إنى متوفيك أى قابضك وأخرج ابن جرير عن ابن زيد فى قوله إنى متوفيك ورافعك إلى قال متوفيك قابضك قال متوفيك ورافعك واحد قال ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وتلا قول الله عز وجل (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) قال رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا قال وينزل كهلا وأخرج ابن المنذر عن الحسن فى قوله (ومطهرك من الذين كفروا) الآية قال عيسى مرفوع عند الله ثم ينزل قبل يوم القيامة فمن صدق عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وكانوا على دينهما لم يزالوا ظاهرين على من فارقهم إلى يوم القيامة فمعنى الآية على ماأفادته هذه الآثار أن الله قبض عيسى ورفعه إليه وطهره بنقله إلى السماء حتى لا يلحقه أذى وهذا المعنى هو المؤيد بالنظر الصحيح لأن التوفى معناه فى اللغة قبض الشىء وافيا فيشمل قبض الدين والأجرة والنوم والموت وغيرها وادعاء ذلك المفتى الجاهل أن التوفى ظاهر فى الموت جهل باللغة وكذب على الله فى معنى الآية الكريمة كيف والقرآن قيد التوفى تارة بالنوم وتارة بالموت وتارة بالكسب وهو هنا فى غير الموت أظهر بدليل الرفع المذكور بجانبه إذ ليس فى القرآن موت ذكر معه الرفع لأن الميت يدفن ولا يرفع ألا ترى إلى قول الله تعالى فى شأن الإنسان (ثم أماته فأقبره) ولذا قال الآلوسى فى تفسيره مانصه والصحيح كما قاله القرطبى أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم وهو اختيار الطبرى والرواية الصحيحة عن ابن عباس وحكاية أن الله تعالى توفاه سبع ساعات ذكر ابن اسحق أنها من زعم النصارى ولهم فى هذا المقام كلام تقشعر منه الجلود ويزعمون أنه فى الانجيل وحاشالله ماهو إلا افتراء وبهتان عظيم اه والرفع حقيقته اللغوية النقلة من سفل إلى علو كما قال أبو حيان وغيره من

أئمة اللغة والتفسير وحمله على رفع المكانة كما زعم ذلك المفتى الجاهل يبطله أمور «أولها» أنه معنى مجازى لا داعى إليه ولا قرينة تدعو عليه «ثانيها» أن كلمة إلى تدل على أن الرفع انتهى إلى مكان محسوس وهو السماء قال النيسابورى فى تفسيره : أما قوله وارفعك إلى فالمشبهة تمسكوا بمثله فى إثبات المكان لله وأنه فى السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بأن المراد إلى محل كرامتى ومقر ملائكتى والمراد التفخيم والتعظيم أو المراد إلى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فإن فى الأرض ملوكا مجازية اهـ. رفعة المكانة ليس لها مكان تنتهى إليه فلا يذكر معها لفظ إلى اقرأ قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك فى بيوت أذن الله أن ترفع ، يرفع الذين آمنوا منكم ، والعمل الصالح يرفعه نرفع درجات من نشاء) ولم يتنبه ذلك المفتى الجاهل إلى هذا المعنى — لغباوته — فساق الآيات الواردة فى الرفع الحسى والمعنوى مساقا واحدا «ثالثها» أن رفعة المكانة حاصلة لعيسى على أكمل وجه فلا معنى لأن يعطى شيئا حاصلا له وليس هو بأفضل الرسل حتى يقال يجوز أن يعطى من الرفعة قدراً لا يشاركه فيه بقيتهم عليه وعليهم صلوات الله وكذلك رفع الروح لا معنى له لأنه — مع كونه مجازا — يعم سائر المؤمنين فلا يظهر لتخصيص عيسى عليه السلام به فائدة والتطهير المعنوى — مع كونه مجازا أيضا — لا تمنع إذاية المؤذين ولا عسف الظالمين فكم لاقى رسل الله المطهرون من عسف وإذاية وقال رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم «رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر» ولما أراد الله أن يضمن لنبيه الحفظ من القتل خاطبه بقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ولم يقل

والله يرفع مكانتك على الناس لولا قال والله يطهرك لما سبق بيانه فافهم وبالله التوفيق .

تذييه أخرج ابن حاتم عن قتادة (إنى متوفيك وارفعك إلى) قال هذا من المقدم والمؤخر أى رافعك إلى ومتوفيك واخرج إسحق بن بشر وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله إنى متوفيك وارفعك إلى يعنى رافعك ثم متوفيك فى آخر الزمان ، هذا إسناد ضعيف جدا والآية على هذا التأويل تفيد أيضا حياة عيسى عليه السلام كما هو ظاهر ومنها ، قوله تعالى (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما) وهذه الآية نص صريح فى حياة عيسى ورفعه لأن الله تعالى نفى عنه القتل والصلب ثم عطف ببل مثبتا له الرفع والمقرر فى كتب اللغة العربية التى بها نزل القرآن أن كلمة بل إذا تلت نفيا أو نهيا كانت للإضراب والاستدراك تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقضه لما بعدها ولذا ذكر أهل المعانى العطف ببل وبلا من طرق القصر وقالوا إنه أقوى طرقه للتصريح فيه بالنفى والإثبات فهى فى الآية لقصر القلب ترد على اليهود والنصارى ما اعتقدوه من قتل عيسى وصلبه وتثبت نقيضه وهو حياته ورفعه هذا هو ما تفيده الآية صراحة بحسب قواعد اللغة وأسلوب البلاغة وهو ما يفهمه العربى الفصيح بذوقه السليم الصحيح أما حمل الآية على تقدير الإماتة العادية بأن يقال بل أماته الله ورفعه إليه كما قال صاحب الفتوى لعاميته والقاديانيه لعجمتهم فهو — مع كونه من سقط الكلام الذى يجب تنزيه القرآن عنه — يبطله أمور « أحدها » أن هذا يلزم منه المجاز فى موضعين من الآيه والمجاز خلاف الأصل لا حاجة إليه

ولا دليل عليه «ثانيها» أن الإماتة العادية تتفق مع القتل فى الغاية وهى إزهاق الروح كما قال الشاعر : —

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الأسباب والموت واحد

فلا تكون الإماته نقيض القتل إلا من حيث الصورة والقرآن أدق من أن يقصد الصور الظاهرية وأجل من أن يحمل عليها «ثالثها» أن تخليص عيسى عليه السلام من القتل بالإماتة — مع كونه محصلا لغرض اليهود — يستلزم العجز تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لأن الإماتة حيلة الضعيف ألا ترى إلى الزباء لما رأت حيلة عمرو تمت عليها وأيقنت بالهلاك قالت بيدى لا بيد عمرو وقتلت نفسها «رابعها» أن كلمة إليه الدالة على الانتهاء توجب أن يكون الرفع حسيا لا معنويا على ما سبق بيانه «خامسها» أن حمل الرفع على رفع المكانة أو الروح — مع كونه مجازا — لا تظهر له فائدة فى هذا الموطن لأن الرسل — وعيسى منهم — عليهم الصلاة والسلام كلهم مرفوعو الرتبة والمكانة عند الله لا يشك فى هذا مسلم عامى فضلا عن متعلم وأرواح المؤمنين كلها ترفع بعد الموت مقتولا كان الميت أو غير مقتول فأى فائدة فى تخصيص عيسى بالتنصيص على هذا لاسيما إذا وجدنا غيره من الرسل أو ذى أكثر منه وأنجاه الله من غير أن يذكر رفع مكانته أو روحه لكونه معلوما كإبراهيم عليه الصلاة والسلام فانه — مع كونه أفضل الأنبياء — أوذى أبلغ إذاية وحسبك إلقاؤه فى النار حياً فان هذا شر أنواع القتل ولم ير الله على أن أخبر عن إنجائه بقوله: (قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) ويتخرج من هذا وجه آخر وهو «سادسها» أن الله تعالى قص علينا مالاقاه للرسل والأنبياء من الإذاية والعسف وذكر

إنجاءه تعالى لهم مما أريد بهم وسلته مع كل واحد منهم فى إنقاذه ولم يذكر الرفع طريقا للإنقاذ إلا فى عيسى عليه السلام فلا جائز أن يكون رفع المكانة لأنه مشترك بينهم، ولا رفع الروح لأنه يعم جميع المؤمنين، هذا مع أنهما — أعنى رفع المكانة ورفع الروح — ليسا من طرق الإنقاذ فى شىء فتعين أن يكون رفع عيسى حقيقيا ويكون الله قد أنجاه بهذا الطريق كما أنجى غيره بطرق أخرى (وربك فعال لما يريد) (سابعها) أن الله تعالى اقتصر على ذكر الرفع وجعله مبطلا لما ادعته اليهود من القتل والصلب وذلك يوجب أن يكون الرفع حقيقيا إذ لو كان مجازيا لم يكن مبطلا لدعوى اليهود بل متفق معها لأن رفع المكانة أو الروح لا يمنع القتل والإيذاء كما سبق بيانه (ثامنها) أن رفع المكانة لا يستلزم الموت كما هو ظاهر وكذلك رفع الروح لأن النائم ترفع روحه وتسبح فى عالم المثال وحينئذ كان يتعين التصريح فى الآية بالموت بأن يقال بل أماته الله ولا يقتصر على ذكر الرفع الذى لا يستلزمه ولا يدل عليه لا يقال قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) قرينة على التقدير هنا لأنا نقول هذا — على ما فيه — إنما يفيد تقدير التوفى وليس التوفى بإماتة فمن أين أتى التعيين؟ وأى دليل عليه؟ بل نحن نقول لما اقتصر الله فى هذه الآية على الرفع وجعله مبطلا لدعوى اليهود كان ذلك دليلا على أن التوفى فى الآية السابقة مراد به قبض البدن من الأرض حيا وليس المراد به الموت جزما (تاسعها) أن الله مدح نفسه بقوله (وكان الله عزيزاً حكيما) ولو كان فى الآية إماتة عادية لم يكن للمدح معنى لأنها أمر عادى مطرد فى جميع المخلوقات بل ربما لم يحسن المدح لأن الإماتة فى هذا الموطن تحصيل لغرض الأعداء ومشعرة بمعنى المثل العربى : بيدى

لابن عمرو ، تعالى الله عن ذلك وعما يقول الجاهلون فى كتابه علواً كبيراً عاشرها، أن الله مدح نفسه كما مر آنفاً ولم نره سبحانه وتعالى مدح نفسه على إماتة نبى أو رسول كيف والموت مصيبة بشهادة القرآن قال تعالى (إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت) وإنما رأيناه يمتدح بإهلاك الظلمة الكفرة انتقاماً لأنبيائه ورسله وما صح الامتداح بالإهلاك إلا لما انطوى عليه من الخوارق الدالة على كمال قدرته وشدة انتقامه سبحانه وتعالى حادى عشرها، أن الآية نص فى الرفع وحملها على تقدير أو تأويل مخالف لما أطبق عليه علماء الأصول من أن النص لا يؤول وإنما يؤول الظاهر ، وتأويل النصوص لم يجرؤ عليه أحد ممن شم رائحة العلم إلا الباطنية والبهائية والقاديانية وكلهم كفرة جهلة — وتبعهم ذلك الفتى الجاهل حيث ادعى أن الآية مؤولة وتعامى عن صراحتها لهوى فى نفسه وثانى عشرها ، أن حمل الآية على المجاز — مع كونه خلاف الأصل — مخالف لما أطبق عليه علماء التفسير من إبقائها على حقيقتها وأن الرفع فيها مراد به معناه الحقيقى الذى هو نقله الجرم من سفل إلى علو وقالوا إن عيسى رفع حيا إلى السماء بعد أن أعطى استعدادا لذلك وقطعت عنه علائق الشهوة وعوائق المادة وليس فى ذلك ما يحيله العقل ولا ما يصدمه العلم بل نجد فى تطورات هذا الزمن ومخترعاته ما يؤيد ذلك ويقربه إلى العقول المريضة المحصورة فى دائرة ضيقة من التفكير فلا يتسع أفقها للتصديق بما غاب عنها ولو قامت الدلائل العلمية على وقوعه وفى مثل هؤلاء يقول الله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) وستأتى الآثار فى الرفع إن شاء الله ومنها ، (قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله

آخر الزمان حاكما بهذه الشريعة المحمدية داعيا إليها فلا يبقى يهودى ولا نصرانى إذ ذاك إلا آمن به أنه عبد الله ورسوله وتصير الملل كلها ملة واحدة هى ملة الإسلام ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً أى على اليهود والنصارى يشهد على من آمن منهم ومن كفر قبل رفعه وبعد نزوله فالضميران فى به وفى موته عائدان على عيسى عليه السلام كما تبين وهذا التفسير الذى ذكرناه هو تفسير ابى هريرة وابن عباس وقتادة والحسن وابن زيد وأبى زيد وأبى مالك وغيرهم أما تفسير أبى هريرة ففى الصحيحين وغيرهما من طرق وأما تفسير من عداه ففى تفسير ابن جرير وابن كثير والدر المنثور وغيرها وهو المتعين الذى لا يجوز غيره لوجوه «الأول» أنه تفسير أبى هريرة وابن عباس وهما صحابيان جليلان شاهدا التنزيل وعرفا معانيه بسليقتهما العربية وتفقهما عن الرسول «الثانى» أنه موافق للأحاديث المتواترة التى أخبرت بنزول عيسى ودعائه إلى الإسلام وإيمان اليهود والنصارى به ولذا كان أبو هريرة حين يروى حديث النزول يتلو عقبه هذه الاية للاشارة إلى أن الحديث يفسر الاية ويعين المراد منها فهما متطابقان متوافقان «الثالث» أن المتحدث عنه فى الايات قبل هذه الاية هو عيسى عليه السلام اقرأ قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) الايات تجد الكلام مسوقا لتبرئة عيسى عليه السلام مما يرمى به فوجب أن تكون الضمائر كلها راجعة إليه أخذا بدلالة السياق وعملا بما توجبه قواعد اللغة العربية التى بها نزل القرآن العظيم ولا يجوز العدول عن ذلك إلا لمقتض يقتضيه ولا مقتضى هنا البتة ولذا قال الإمام أبو حيان فى البحر المحيط ما نصه والظاهر أن الضميرين فى به وفى موته عائدان على عيسى وهو سياق

الكلام والمعنى من أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام قاله ابن عباس والحسن وأبو مالك اه وأبو حيان إمام مقدم فى النحو واللغة والقراءات وصحح هذا القول ابن جرير أيضا وقال ابن كثير هو القول الحق المبين بالدليـــل القاطع يعنى الحديث المتواتر وبما ذكر يبطل قول العلامة الالوسى : إن عود الضمير فى موته على عيسى غير ظاهر وأما القول بأن الضمير فى به عائد على عيسى عليه السلام وفى موته عائد على الكتابى وأن المعنى لا يموت الكتابى حتى يؤمن بعيسى وذلك عند المعاينة قبيل زهوق الروح فقد نقل عن ابن عباس ولم يصح عنه بل الذى استفاض عنه القول السابق ومما يبطل هذا القول ـ زيادة على ما تقدم ـ ما يلزم عليه من تشتيت الضمائر باختلاف مرجعها وأقل ما يقال فى هذا أنه خلاف الظاهر لا داعى إلى ارتكابه وأما من استدل له بقراءة أبى : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ـ بضم النون ـ قبل موتهم فلم يصب لأمرين (الأول) أن هذه القراءة شاذة لا يجوز الاستدلال بها كما لا تجوز تلاوتها بناء على ما صححه إمام الحرمين وأبو نصر القشيرى وابن الحاجب وغيرهم من عدم جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذة وهو مذهب مالك وقال النووى إنه مذهب الشافعى لأنها نقلت آحادا فيما تتوفر الدواعى على نقله تواترا ولأنها قد تكون مذهبا لصاحبها كقراءة ابن مسعود فإن كثيرا منها تفسيرات بحسب اجتهاده (الثانى) أن من أجاز الاحتجاج بالقراءة الشاذة أجراها مجرى خبر الاحاد فى ذلك وقاسها عليه لكنه لا يقدمها على المتواتر كما لا يتقدم خبر الاحاد عليه وقد دل الحديث المتواتر على تعين المراد من الاية وبينه

بيانا شافيا ولا حاجة بعده إلى شواذ القراءات ولا التمسك بالضعيف من الأقوال والروايات بل لا يجوز ذلك جزما ولذا رد ابن جرير وابن كثير كل قول قيل فى الاية غير القول الأول ، ومنها ما رواه أحمد وأبو داود وابن جرير وابن حبان فى صحيحه والحاكم وغيرهم من طرق عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام وتهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك فى زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه) ، صححه الحاكم وسلمه الذهبى وصححه أيضا الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وهو واضح فى الدلالة على حياة عيسى عليه السلام - ولينظر القارىء شروح سنن أبى داود وغيرها ، ومنها ما رواه ابن جرير فى تفسيره حدثنا المثنى ثنا اسحاق ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قول الله تعالى (إنى متوفيك) قال يعنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لليهود (إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة) وهو صريح كما ترى ، ومنها ما رواه البزار فى معجمه عن أبى هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم يقول (يخرج الأعور الدجال مسيح الضلالة قبل المشرق فى زمن اختلاف

من الناس وفرقة فيبلغ ماشاء الله أن يبلغ من الأرض فى أربعين يوما الله أعلم ما مقدارها فيلتى المؤمنون شدة شديدة ثم ينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم من السماء فيؤم الناس فاذا رفع رأسه من ركعته قال سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال وظهر المسلمون فأحلف أن رسول الله أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم (قال إنه لحق وأما إنه قريب فكل ماهو آت قريب) صححه ابن حبان وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير على بن المنذر وهو ثقه اه وقال البيهقى فى الأسماء والصفات باب قول الله عز وجل لعيسى عليه السلام (إنى متوفيك ورافعك الى) وقوله تعالى (بل رفعه الله اليه) ثم أخرج باسناد صحيح على شرط الشيخين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم من السماء فيكم وأمامكم منكم) قال البيهقى وانما أراد نزوله من السماء بعد الرفع اليه اه فهذان الحديثان صريحان فى أن عيسى ينزل من السماء وذلك يقتضى أنه موجود فيها الآن وجاء التصريح بنزوله من السماء أيضاً فى حديث ابن عباس مرفوعا رواه إسحق بن بشر وابن عساكر فى تاريخه وصح فى حديث الإسراء من طرق أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بعيسى عليه السلام فى السماء الثانية وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن أبى حاتم والنسائى بإسناد صحيح على شرط مسلم كما قال الحافظ ابن كثير عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفى البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين وذكر الأثر إلى أن قال ورفع عيسى من روزنة فى البيت — يعنى كوة — إلى السماء قال ابن كثير — وقد أورد الأثر بتمامه فى تاريخه — مانصه : وهكذا ذكر

غير واحد من السلف وممن ذكر ذلك مطولا محمد بن اسحق بن يسار ثم نقل عن وهب بن منبه ويحيي بن حبيب أثرين طويلين فى كيفية رفع عيسى إلى السماء ثم قال . ويروى عن على عليه السلام أن عيسى عليه الصلاة والسلام رفع ليلة الثانى والعشرين من رمضان وفى مثل تلك الليلة توفى على بعد طعنه بخمسة أيام ا هو أخرج اسحق بن بشر أنبأنا سعيد بن بشر بن أبى عروبة عن قتادة ومقاتل عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة قال أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم (ياعيسى جد فى أمرى ولا تهن واسمع وأطع ياابن الطاهرة البكر البتول إنك من غير فحل وأنا خلقتك آية للعالمين إياى فاعبد وعلى فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لأهل السريانية بلغ من بين يديك أنى أنا الحق الحى الدائم الذى لا أزول صدقوا النبى الأمى العربى صاحب الجمل والتاج والمدرعة والنعلين والهراوة الأنجل العينين الصلت الجبين الواضح الخدين الجعد الرأس الكث اللحية المقرون الحاجبين الأقنى الأنف المفلج الثنايا البادى العنفقة الذى كأن عنقه إبريق فضة وكأن الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته إلى سرته تجرى كالقضيب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غير شثن الكف والقدم إذا التفت التفت جميعا وإذا مشى فكأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريح المسك تنفح منه لم ير قبله ولا بعده مثله ، الحسن القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النسل القليل إنما نسله من مباركة لها بيت من قصب لانصب فيه ولا صخب تكفله ياعيسى فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندى منزلة ليست لأحد من البشر ، كلامه القرآن ودينه الاسلام وأنا السلام . طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه

قال عيسى : يارب وماطوبى؟قال غرس شجرة أنا غرستها بيدى فهى للجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا قال عيسى يارب اسقنى منها قال حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبى وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبى قال ياعيسى أرفعك إلى قال يارب ولم ترفعنى قال أرفعك ثم أهبطك فى آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبى العجائب ولتعينهم على قتل اللعين الدجال أهبطك فى وقت صلاة ثم لاتصلى بهم لأنها أمة مرحومة ولا نبى بعد نبيهم » ؛ أخرجه ابن عساكر فى تاريخه من هذا الطريق وأخرج ابن أبى حاتم عن جويرية بن بشير قال سمعت رجلا قال للحسن ياأباسعيد قول الله عز وجل (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر وأخرج ابن سعد وأحمد فى الزهد والحاكم عن سعيد بن المسيب قال رفع عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة ومات لها معاذ وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة (وقولهم انا قتلنا المسيح) الايه قال أولئك اليهود أعداء الله افتخروا بقتل عيسى وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه وذكر لنا أنه قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل من أصحابه أنا يانبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله نبيه ورفعه اليه وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله تعالى شبه لهم قال صلبوا رجلا غير عيسى شبهوه بعيسى يحسبونه إياه ورفع الله إليه عيسى حيا وأخرج عبد الرازق وأحمد فى الزهد وابن عساكر من طريق ثابت البنانى عن أبى رافع قال رفع عيسى بن مريم وعليه مدرعة وخفا راع وخذافة يخذف بها الطير وأخرج أحمد فى الزهد وأبو نعيم

وابن عساكر من طريق ثابت البناني عن أبي العالية مثل قول أبي رافع وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن شهر بن حوشب في قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قال محمد بن علي — هو ابن الحنفية — ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره ثم يقال يا عدو الله إن عيسى روح الله وكلمته كذبت على الله وزعمت أنه الله إن عيسى لم يمت وإنه رفع إلى السماء وهو نازل قبل أن تقوم الساعة فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا آمن به وأخرج ابن جرير عن السدي أن عيسى قال لأصحابه من يأخذ صورتي ويقتل فله الجنة فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى إلى السماء فذلك قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وذكر بقية الأثر وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن الفراء في قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) قال نزلت في شأن عيسى عليه السلام إذ أرادوا قتله فدخل بيتا فيه كوة وقد أيده الله عز وجل بجبريل عليه السلام فرفعه إلى السماء من الكوة فدخل عليه رجل منهم ليقتله فألقى الله على ذلك الرجل شبه عيسى بن مريم فلما دخل البيت ولم يجد فيه عيسى خرج إليهم وهو يقول ما في البيت أحد فقتلوه وهم يرون أنه عيسى فذلك قوله (ومكروا ومكر الله) المكر من الله الاستدراج لا على معنى مكر المخلوقين وأخرج ابن عساكر عن عبد الجبار بن عبد الله بن سليمان قال أقبل عيسى بن مريم على أصحابه ليلة رفع فقال: لا تأكلوا بكتاب الله أجرا فانكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله على منابر الحجر منها خير من الدنيا وما فيها قال عبد الجبار وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) ورفع عليه السلام. وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله تعالى (وإنه لعلم للساعة) قال خروج

عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة. وتقدمت آثار عن ابن جريج وابن زيد وغيرهما وذكر ابن جرير في تاريخه أن عيسى أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اه ونحوه للشهرستاني في الملل والنحل وقال ابن كثير في تاريخه :ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وأورد آيات وآثارا نحو ماذكرناه ثم قال وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعا وثلاثين سنة وفي الحديث «إن أهل الجنة يدخلونها جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» وفي الحديث الاخر «على ميلاد عيسى وحسن يوسف» وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اه والحديث الذي أشار إليه رواه ابن أبي الدنيا قال حدثنا هاشم بن القاسم ثنا صفوان بن صالح ثنا رواد ابن الجراح العسقلاني ثنا الأوزاعي عن هرون بن رياب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون) ورواه الترمذي وغيره وقال العلامة السعد في شرح المقاصد : ذهب العظماء من العلماء إلى أن أربعة من الأنبياء في زمرة الأحياء الخضر وإلياس في الأرض وعيسى وإدريس في السماء عليهم الصلاة والسلام اه واستدل الرافعي في باب الطلاق من الشرح الكبير على إمكان الصعود إلى السماء عقلا بأنه قد أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء اه قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديثه المسمى بالتلخيص الحبير مانصه وأما رفع عيسى فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رفع ببدنه حيا وإنما اختلفوا هل مات قبل أن يرفع أو نام فرفع اه ومن هذا الاتفاق الذي حكاه شيخ الحفاظ تعلم أن

الذين قالوا بموت عيسى متفقون على رفع بدنه إلى السماء فالقول بأنه دفن في الأرض من مخترعات القاديانية وتبعهم ذلك المفتى الجاهل ثم إنى لم أجد عن أحد بسند صحيح يعتمد عليه القول بموت عيسى عليه السلام إلا عن وهب بن منبه وابن حزم وهما قائلان برفع بدنه أيضا وبأنه نازل حسبما ورد به الحديث المتواتر ووهب انخدع بما رآه فى كتب الاسرائيليات من قول النصارى بموت عيسى عليه السلام والرواية عن الإمام مالك فى ذلك ساقطة لأنها تخالف ماصحت به الأحاديث والاثار الدالة على حياة عيسى عليه السلام وشدة تمسك مالك بالاثار معروفة بل مبنى مذهبه عليها كما يقول ابن خلدون فى مقدمة تاريخه، ثم هى على فرض صحتها أولها أصحاب مذهبه العارفون بأقواله ففى شرح مسلم للامام الأبى ما نصه الأكثر على أنه لم يمت بل رفع وفى العتبية قال مالك مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة. ابن رشد — هو الجد — يعنى بموته خروجه من عالم الأرض إلى عالم السماء قال ويحتمل أنه مات حقيقة ويحيى فى آخر الزمان إذ لابد من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك وفى العتبية كان أبو هريرة يلقى الفتى الشاب فيقول يا ابن أخى انك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فاقرأه منى السلام تحقيقا لنزوله فما ذكر ابن حزم من الخلاف فى نزوله لا يصح اه وقوله ويحتمل أنه مات حقيقة ويحى فى آخر الزمان يشير الى مسئلة مهمة وهى أن موت عيسى — على فرض تسليمه — لا ينافى نزوله الذى تواتر به الحديث بل يحييه الله الذى يحي الموتى والذى أوجده من غير أب وينزله خليفة فى هذه الأمة عن نبيها، والقاديانية — خذلهم الله — يجهدون فى اثبات موت عيسى ليدعوا أنه لا ينزل ولا يرجع لأن الميت لا يحيى قبل يوم القيامة وهم كاذبون فى دعواهم جاهلون بالله لا يعرفونه

ومخالفون للقرآن فقد أخبر الله تعالى أنه أحيى الموتى اقرأقوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) وقوله تعالى (أوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها) إلى قوله (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير)وقوله جل شأنه (وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى) إلى آخر الآية وقوله عز ذكره فى شأن عيسى (ورسولا إلى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) وقوله عز وجل مخاطبا لعيسى عليه السلام (وإذ تخرج الموتى بإذنى) وللحافظ ابن أبى الدنيا كتاب «من عاش بعد الموت» وهو جزء صغير مطبوع بمصر ينبغى الوقوف عليه فلو سلم موت عيسى لكان إحياؤه ونزوله لابد منهما كما قال ابن رشد لكنه حى مرفوع كما دلت عليه الآثار السابقة من غير أن يوجد مايعارضها وقوله تعالى (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) معناه قبضتنى بالرفع إلى السماء كما قال أبو حيان وغيره من أئمة اللغة والتفسير وقال القرطبى : قيل هذا يدل على أن الله عز وجل توفاه قبل أن يرفعه وليس بشىء لأن الأخبار تظاهرت برفعه وأنه فى السماء حى اهـ وقد نبهنا أن التوفى ليس معناه الموت لامطابقة ولا التزاما ، ومن الطريف أن القاديانية يستدلون على موت عيسى بحديث هذا لفظه «لو كان موسى وعيسى حيين ماوسعهما إلا اتباعى » وهذا حديث مكذوب لا أصل له وما أكثر استدلالهم بالأكاذيب والمفتريات (١)

---

(١) نعم صح أن النبى ﷺ قال لعمر « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ماوسعه إلا اتباعى » ا

«تنبيه» سبق أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بعيسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء وهو اجتماع حقيق لأن الإسراء كان بالجسد والروح كما هو مذهب طوائف الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين قال الحافظ فى الفتح : وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة فلا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل اهـ وعلى هذا يكون عيسى صحابيا لانطباق تعريف الصحابى عليه ولذا ذكره الذهبى فى الصحابة فقال فى التجريد : عيسى بن مريم نبى وصحابى فانه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو آخر الصحابة موتا اهـ وكذا قال الحافظ العراقى فى نكته على ابن الصلاح والحافظ ابن حجر فى الإصابة والحافظ السيوطى فى التدريب وفى الاعلام بحكم عيسى عليه السلام وألغز فيه التاج ابن السبكى بقوله :-

من باتفاق جميع الخلق أفضل من   خير الصحاب أبى بكر ومن عمر؟
ومن على ومن عثمان وهو فتى !   من أمة المصطفى المختار من مضر!

قال العلامة أبو عبد الله محمد الطالب بن الحاج فى حاشيته على شرح المرشد المعين وجوابه : —

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى   نبينا المصطفى فى أحسن الصور
فوق السموات ليلا عندما اجتمعا   كذاك عند طراب البيت والحجر

وقد ألف العلامة الفاضل الشيخ محمد بشير السهسوانى رسالة جيدة سماها «الحق الصريح فى إثبات حياة المسيح» ردا على الغلام القاديانى كما ألف من قبل أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى العلامة النسابة المتوفى سنة (٢٠٤ هـ) كتاب «رفع عيسى عليه السلام» .

فصل كتب قادياني اسمه عبد الكريم خان في القيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط خطابا إلى مشيخة الأزهر جاء فيه: هل عيسى حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى ؟ فأحالت المشيخة السؤال على أحد أعضاء الهيئة لا لفضل علم عنده بل لأنه أجرأهم على القول في دين الله بغير علم وأجلدهم على تحمل صفعات البرهان التي تنهال عليه من كل حدب وصوب، فتحمل التبعة وأدى المهمة التي عهدبها إليه وأجاب بجواب يتفق وأغراض القاديانية ويتمشى مع أهوائهم حيث زعم — كما زعموا — أن عيسى عليه السلام مات ودفن وأن رفعه الوارد في القرآن رفع مجازي وأن الأحاديث الواردة في نزوله آحاد لا يعمل بها في العقائد والمغيبات بالإجماع وأنها — مع اضطرابها — يرويها كعب الأحبار ووهب بن منبه وهما من أهل الكتاب، وختم فتواه بالشهادة على الله — كأنه نبي يوحى إليه — أن من أنكر نزول عيسى فهو مؤمن لاشية في إيمانه عند الله فتقبلها القاديانية بقبول حسن ونشروها في مجلتهم البشرى شاكرين ومطرين صاحبها وحق لهم ذلك فقد وجدوا فيه بغيتهم ورأوا من فتواه أكثر مما كانوا يشتهون رأوا جرأة في دفع الحق وتدعيم الباطل تقطعت دون الوصول إليها أعناق مطاياهم وهل أجرأ ممن يرد الحديث المتواتر بأسباب مختلفة لا وجود لها إلا في مخيلته ؟ ! ! لمس العلماء أهل الحق خطر تلك الفتوى الخاطئة ورأوا من كثب جناية صاحبها على العلم والدين فقاموا يردون فريته ويدحضون نحلته امتثالا لأوامر الدين وتحقيقا لقول الصادق الأمين « لا تزال طائفة

من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » وفى رواية « حتى ينزل عيسى بن مريم » وكنت ممن تشرف بالانتظام فى عقد هؤلاء المجاهدين الأبرار فكتبت فى مجلة الإسلام ثلاث مقالات تحولت بعد إلى كتاب مستقل سميته « إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان » أعجب به كل من رآه والحمد لله ولما رأى صاحب الفترى ضربات الحق تتوالى وتنهال عليه ووجد وقعها شديداً ليس فى طاقته تحمله قام يحاول الدفاع عن نفسه لكنه دفاع المنهزم المندحر يحمل فى أثنائه الاعتراف بضعف الحيلة وخسران القضية مع الاستمرار فى العناد جريا على المثل المعروف « معزة ولو طارت » كتب ثلاث مقالات أو أربعا كشف فيها شريكه فى جريمته وبين صنوه فى نحلته ليتقهقر « بعض منا » فرقا من سطوته لكن أحداً منا لم يتقهقر بل ضاعفنا القوة وواصلنا الجهاد وتيقنا أن هذا المفتى المبتدع لا يفهم العلم إلا على أنه صنعة لأكل العيش وأن الترقى فيه يكون بمقدار التقرب من (رئيس المصنع) وحيث إن (معلمه) الذى أدخله عضواً فى الهيئة ورقاه إلى الدرجة الفلانية وأنتخبه عضواً فى مؤتمر الأديان بلاهاى وآواه بعد أن كان طريداً شريداً أنكر رفع عيسى وحياته ونزوله فلابد أن ينكر هو ذلك أيضا لأن أكل العيش والانسجام فى العمل يقتضيانه وأظنك — بعد هذا — تدرك سر اتهامه خصومه بأنهم مرتزقة باسم الدين فقديما قيل « ما فيك يظهر على فيك » ويقول المثل العربى (رمتنى بدائها وانسلت) ثم ماذا؟ ثم ركب الصعب والذلول وتاه فى مفاوز ومجاهل عسى أن يجد طريقا ينفذ منه أو يعثر على من ينقذه مما هو فيه فضل وزل وصاحبته الخيبة حيثما حل، كذب فى النقل عن بعض العلماء وحرف فى النقل عن بعض آخر منهم ودلس فى التعبير وغش نفسه وقراءه فكان مثالا للغاشين الخائنين. نقل فى مجلة

الرسالة عدد (٥١٤) ص (٢٦٦) أن سفيان الثوري قال : إن الجهاد ليس مطلوبا منا بسبب كفر الكفار بل بسبب محاربتهم واعتدائهم وسفيان لم يقل هذا بل قال قولا آخر نقله ابن العربي الحافظ في الأحكام (ج ١ ص ٢٤) ونقل في مجلة الرسالة (عدد ٥١٩ ص ٤٦٤) أن الإمام أحمد : قال من أدعى وجود الإجماع فهو كاذب وكلمة (وجود) كذب على الإمام أحمد لم ينطق بها ولا أراد معناها لأنه لم يستبعد وجود الإجماع وإنما كان كلامه في قول الأكثر إذا لم يعلم فيه خلاف انظر ص ١١ ج ١ من أعلام الموقعين طبع الهند ونقل في الكلام على قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي (مجلة الرسالة عدد ٥١٦ ص ٤٠٨) كلاما للامام الرازي ناقصا مبتورا ليفيد ما يشتهيه مع أن الرازي صرح في تفسير هذه الآية نفسها أن عيسى حي مرفوع وأنه سينزل كما قال أهل السنة أجمعون وسلك مثل هـذا التدليس في نقله عن الآلوسي في تفسير هذه الآية أيضا (ص ٥١٦ عدد ٤٦٢ مجلة الرسالة) وهكذا كانت طريقته في النقل عن كتب الأصول أيضا بحيث لم يكن فيما كتب نقل سالم من تحريف أو تعديل أما تناقضاته فحدث عنها ولا حرج . نقل في فتواه (ص ٥٦ عدد ٤٦٢ الرسالة) إجماع العلماء على أن حديث الآحاد لا يفيد عقيدة ولا يعتمد عليه في المغيبات فلما ألزمناه بالإجماع على نزول عيسى كتب مقالا (عدد ٥١٩) كله تشكيك في الإجماع من حيث إمكانه ووقوعه وحجيته وطريقة نقله واستشهد بقول الإمام أحمد من ادعى الإجماع فهو كاذب وزاد فيه لفظه (وجود) لتدل على المعنى المقصود وهذا تناقض او تكلم في فتواه على أساس أن نزول عيسى عقيدة (ص ٥١٦ — ٥١٧ عدد ٤٦٢) ولم يكن عنده غير ذلك ثم رأى في كتابي إقامة البرهان (ص ٩٢ — ٩٣) أن نزول

عيسى من الأحداث الواقعة فى الدنيا قبل انقراضها وأن وجوب التصديق بوقوعه لإخبار الشارع به لايجعله من العقائد التى يطلب فيها البرهان فأخذ هذا وكتب يقول : إن نزول عيسى ليس من العقائد وأن ذكره فيها قول من لم يفهم معنى العقيدة (ص ٤٠٦ — ٤٠٧ عدد ٥١٦ رسالة) فتناقض وأقر على نفسه أنه لايفهم معنى العقيدة وذكر أن العلميات التى لم ترد بطريق قطعى أو وردت ولابسها احتمال ليست من العقائد التى يكلفنا بها الدين (ص ٤٠٦ عدد ٥١٦) وهذا تهافت ظاهر لأنه لامعنى لكون الشيء عقيدة عند الشرعيين إلا أن الدين كلف به، وحيث أقر على نفسه بعدم فهم معنى العقيدة فلا يمتنع أن يريد بها ماهو متعارف بين عوام الناس من قولهم عقيدة الحزب الوطنى كذا وعقيدة الوفد كذا يريدون المبدأ السياسى الذى يمشى عليه الحزب ومن تهافته الدال على تلاعبه أنه — مع نفيه أن يكون نزول عيسى من العقائد التى يكلفنا بها الدين ! ! — ينفى وقوعه أيضا لأنه ليس فى القرآن والسنة مايفيد ذلك يقينا من غير احتمال وهذا تلاعب لأن اليقين إنما يطلب فى العقائد التى يكلفنا بها الدين — على حد فهمه وتعبيره — أما العقائد التى لايكلفنا بها الدين كنزول عيسى والدجال عنده فيكفى فيها مايحصل الظن واشتراط اليقين تعنت وتلاعب وهرب من الاعتراف بالحق هذا إن ماشيناه على قدر عقله وفهمه وأما إن ذهبنا على ماقرره العلماء — وهو مركوز فى فطر عوام المسلمين — فكل ماورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام فهو واجب التصديق واجب الاتباع خبرا كان أو إنشاء عقيدة كان أو غير عقيدة لقوله تعالى (وماينطق عن الهوى إن هو إلاوحى يوحى) وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) وللآيات الكثيرة الآمرة بطاعة

الرسول إطلاقا من غير تقييد، ولأن خبر الرسول صدق فيجب التصديق به. نعم تختلف الأحاديث الواردة من حيث نقلها بالتواتر وغيره ومن حيث متونها بالنص وغيره فيختلف حكم منكر ماجاءت به تبعا لذلك فيكفر منكر ماتواتر ويفسق منكر غيره وبهذا البيان الوجيز تدرك أن هذا المفتى انحط فهمه وإدراكه عن درجة العوام ولا عجب فى ذلك فقد كشفت لنا فتواه وردوده على أنه فى مستوى العامة إن لم ينحط عنهم فى بعض الأحيان بنقص فى الادراك كما هنا لم يزد عليهم بفضل اطلاع وسعة معلومات ومن عجيب تلاعباته أنه ينكر حديث النزول المخرج فى الكتب الستة التى نقلت إلينا نقل استفاضة بل تواتر فى بعضها وهى مفزع العلماء من جميع الطبقات بحيث لايخلو من العزو إليها كتاب من كتبهم فى مختلف المواضع بل صحيح البخارى بلغ فى الشهرة إلى حد أن العوام يحلفون به ثم نجده يعتمد فى إنكاره المذكور وغيره على كتب لم تنقل نقل الكتب الستة ولا اشتهر مؤلفوها بالعلم والثقة اشتهار الأئمة الستة ! ! ! بل لو رجع هذا المفتى الخاطىء إلى نفسه لوجدها أعرف بالبخارى ومسلم وأبى داود منها بالغزالى والعضد والسعد ولو أراد الوقوف على تاريخ ولادة الترمذى والنسائى ووفاتهما لكان أيسر عليه من معرفة ولادة البزدوى والهادى ووفاتهما ولاشك أن الأطمئنان إلى قول العالم أو نقله مبنى على معرفة علمه وعدالته واشتهار مؤلفاته عنه اشتهارا يفيد صحة نسبتها إليه ويمنع تطرق احتمال عبث يلحقها بزيادة أو نقص أو تصحيف، والكتب الستة بلغت من العناية فى نقلها مبلغا لم يحظ به كثير من كتب المتقدمين فضلا عن المتأخرين فتجد رواتها ينصون على اختلاف النسخ بزيادة لفظ باب مثلا فى رواية فلان ونقصه فى غيره كما يعلم بالوقوف

على شرح ابن حجر الحافظ والقسطلانى للبخارى وشرح عياض لمسلم وغيرها من الشروح. ومن تضليلات هذا المفتى وجهالاته أنه حاول أن يرد مانقلناه عن أحمد بن حنبل وداود بن على الظاهرى إمام الظاهرية والحارث بن أسد المحاسبى شيخ الصوفية والحسين بن على الكرابيسى وابن حزم من أن خبر الواحد يفيد العلم اليقينى، ونقله ابن خويز منداد عن مالك بن أنس واختاره وأطال فى تقريره وتأييده فى كتاب له فى أصول الفقه وحكاه ابن الصباغ عن قوم من أهل الحديث فلم يرده بطرق الرد العلمية بل عمد إلى نقل عبارة للغزالى لاتفيده شيئا وبنى عليها صحة مازعمه أولا من انعقاد الإجماع على أن حديث الآحاد لايفيد عقيدة فكان عمله هذا جهلا لأنه لم يقف على كلام من قالوا: خبر الواحد يفيد العلم حتى يدرك منافاته لكلام الغزالى وتضليلا لأنه خدع قراءه وأوهمهم أنه أثبت مدعاه وهو لم يفعل شيئا ونحن ننقل عبارة الغزالى ونبين مافيها. جاء فى المستصفى ج ١ ص ١٤٥ المطبعة الأميرية مانصه خبر الواحد لايفيد العلم وهو معلوم بالضرورة فانا لانصدق بكل مانسمع ولو صدقنا وقدرنا تعارض خبرين فكيف نصدق بالضدين وماحكى عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علما ولهذا قال بعضهم يورث العلم الظاهر والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن اهـ والذى قال: إنه يوجب العلم الظاهر، أبو بكر القفال وهو فقيه شافعى ليس من أهل الحديث، والغزالى — على مايظهر من كلامه — لم يقف على كلام المحدثين وإنما ترجى أن يكون مرادهم ماأبداه من التأويل لكن ترجيه لم يتحقق فقد صرحوا بمرادهم تصريحا لايحتمل تأويلا، قال ابن حزم فى النبذ ص ٢١

بعد تمهيد: فاذا جاء خبر الراوى الثقة عن مثله مسندا إلى رسول الله ﷺ فهو مقطوع على أنه حق عند الله عز وجل موجب صحة الحكم به إذا كان جميع رواته متفقا على عدالتهم أو من ثبتت عدالتهم وإن اعترض معترض فى بعضهم ممن لم يصح اعتراضه أو اعترض بما لا يصح الاعتراض به اهـ ثم ذكر برهان قوله وقال فى الأحكام ج اص ١٢٤ بعد تمهيد أيضا: وإذا صح هذا فقد ثبت يقينا أن خبر الواحد العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به موجب للعلم والعمل معا اهـ ثم نقل هذا القول عن الإمام أحمد وداود الظاهرى والحارث المحاسبى والحسين الكرابيسى واستدل له بما يراجع هناك، وقال العلامة عبد العزيز البخارى فى شرح أصول البزدوى: ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن الأخبار التى حكم أهل الصنعة بصحتها توجب علم اليقين بالضرورة وهو مذهب أحمد بن حنبل اهـ فهذه عبارات صريحة تنافى ماقاله الغزالى كما هو ظاهر وقد صرح بنحو ماقلناه الإمام ابن الهمام حيث قال فى التحرير: المختار أن خبر الواحد قد يفيد العلم بقرائن غير اللازمة لما تقدم ولو كان غير عدل لا مجردا، وقيل إن كان عدلا جاز مع التجرد وعن أحمد يطرد وأول بعلم وجوب العمل لكن تصريح ابن الصلاح فى مرويهما بأنه مقطوع بصحته ينفيه اهـ ثم ما اختاره من أن خبر الواحد المحتف بالقرائن يفيد علم اليقين اختاره أيضا إمام الحرمين والغزالى والإمام الرازى والآمدى وابن الحاجب وابن السبكى والبيضاوى والعضد والسيد الجرجانى والحافظ ابن حجر وغيرهم من المحققين وهو الصحيح ودلائله مبسوطة فى مواضعها ولم يأت من خالف فى ذلك بما يصلح للتمسك والاستدلال بل تعد المخالفة من باب المكابرة إذ لا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الرجال كما قال الحافظ

أن مالكا أو الشافعى أو البخارى مثلا لو أخبر بشيء أنه صادق فيه ولا يخطر بذهن السامع غير ذلك وهذا مشاهد ملموس ولذا قال يحيى بن بكير لأبى زرعة الرازى — فيما رواه الخطيب فى الكفاية — يا أبازرعة ليس ذا زعزعة عن زوبعة إنما ترفع الستر فتنظر إلى النبى ﷺ والصحابة: حديث مالك عن نافع عن ابن عمر اهـ ومن هذا القبيل حديث الصحيحين فقد احتفت به قرائن كما قال الحافظ. منها إمامة الشيخين فى هذا الشأن وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول، قال الحافظ: وهذا التلقى وحده أقوى فى إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر قال إلا أن هذا مختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لا ترجيح لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما قال: وماعدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته اهـ وممن قال بإفادة خبر الصحيحين العلم أبو إسحق وأبو حامد الاسفرايينيان وأبو الطيب الطبرى وأبو إسحق الشيرازى الشافعيون والقاضى عبد الوهاب المالكى والسرخسى الحنفى وأبو يعلى وأبو الخطاب وابن الزاغونى الحنبليون وابن فورك من المتكلمين ومحمد بن طاهر المقدسى وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن يوسف وابن تيمية وابن القيم من الحفاظ وهو رأى ابن الصلاح أيضا قال فى علوم الحديث بعد أن ذكر أقسام الحديث الصحيح: وأعلاها الأول وهو الذى يقول فيه أهل الحديث كثيرا صحيح متفق عليه يعنون به اتفاق البخارى ومسلم لا اتفاق الأمة لكنه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقينى النظرى واقع

به خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد فى أصله إلا الظن وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطىء وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قويا ثم بان لى أن المذهب الذى اخترناه أولا هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطىء والأمة فى إجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الاجماع المبنى على الاجتهاد حجة مقطوعا بها وأكثر إجماعات العلماء كذلك وهذه نكتة نافعة ومن فوائدها القول بأن ما انفرد به أحد الشيخين مندرج فيما يقطع بصحته لتلقى الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول سوى أحرف يسيرة تكلم عليها بعض أهل النقد من الحفاظ كالدارقطنى وغيره وهى معروفة عند أهل هذا الشأن اهـ ووافقه ابن كثير وابن حجر والسيوطى وغيرهم واعتراض النووى وابن عبد السلام عليه بحيث فيه البلقينى فى محاسن الاصطلاح ، وبين أن ما قاله ابن الصلاح سبقه اليه جماعة من العلماء ونقله بعض الحفاظ المتأخرين مذهبا لأكثر أهل الكلام من الأشعرية ولأهل الحديث والسلف عامة الخ كلامه ، وكذا بحث فى كلام النووى الحافظ ابن حجر فى نكته على ابن الصلاح وغيرها مما يستخلص من مجموعة أن ما اختاره ابن الصلاح صحيح لاغبار عليه كما يستخلص مما ذكرناه فى هذا البحث كله أن ما ادعاه ذلك المفتى من أن حديث الآحاد لا يفيد عقيدة بالإجماع كذب محض(١) وأن ما تشبث به من كلام الغزالى لا متمسك له فيه والعجب ممن لا يعرف معنى العقيدة كيف ساغ له أن يتكلم على ما يفيد

(١) ذكر العلامة الأبى فى مواضع من شرح مسلم: أن العلميات التى لا ترجع إلى الذات والصفات يصح التمسك فيها بالآحاد انظر ص ١٠٣ ج ١ وص ١٨٨ ج ٦

عقيدة وما لا يفيدها !!؟ أما دعواه الإجماع على أن حديث الآحاد لا يعتمد عليه فى المغيبات فأوضح كذبا وأظهر بطلانا من سابقتها وإذا استثنينا طائفة من الفقهاء قالوا بذلك فى الوعيد خاصة فانه لا يوجد فى الدنيا عالم رأى هذا الرأى فضلا عن أن يكون إجماعا بل قرر العلماء أن الاعتماد فى المغيبات على الكتاب والسنة مما صح نقله أو حسن كما فى كتاب غير واحد منهم كالأسماء والصفات للبيهقى والشفاء للقاضى عياض والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير وكذا تفسيره والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ السخاوى وكذا كتابه الذى رد به على البرهان البقاعى وسماه « الأصل الأصيل فى تحريم النقل من التوراة والإنجيل» وغيرها ثم ذكر ذلك المفتى الخاطىء : أن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين ولا تحصل الإيمان المطلوب ولا تثبت بها وحدها عقيدة عند كثير من العلماء والذين ذهبوا إلى أنها تفيد اليقين وتثبت العقيدة شرطوا فى الدليل النقلى أن يكون قطعى الورود قطعى الدلالة اهـ وهو يقصد بهذا الكلام المموه تمهيد الطريق لوضع قاعدته الجديدة وهى عدم العمل بالقرآن العظيم فى الاعتقاديات بعد أن مهد لترك السنة بمقاله الخاطىء « شخصيات الرسول» حيث قسم فيه السنة إلى أقسام ليس الوحى دخل فى معظمها وجوز مخالفة الرسول فيها تبعا للمصلحة وبذلك سقط الكتاب والسنة عن درجة الاحتجاج فى كثير من مسائل الدين عند هذا المفتى المبتدع ، وقوله : ولابد أن يعم العلم بالعقائد جميع الناس ولا يختص بطائفة دون أخرى ومن مقتضيات هذا العلم أن لا يقع خلاف بين العلماء فى ثبوتها أو نفيها والعلميات المختلف فيها ليست من العقائد اهـ تمهيد آخر لإنكار جمهرة كبيرة من عقائد أهل السنة من عصر الصحابة وهلم ، وفيه مع

هذا تجهيل لهم حيث أدرجوا فى العقائد ما ليس منها فاذا ضم هذا التمهيد إلى ذاك نشأ عنهما إهدار جميع السمعيات وجانب من الإلهيات كوجوب اتصاف الله تعالى بأنه سميع بصير متكلم وغير ذلك مما يتوقف على الدليل النقلى ، فبناء على ماسبق لا يكون إنكار البعث الجسمانى والجنة والنار كفرا وخروجا عن الدين لأن هذه الأشياء إنما تثبتت بدليل نقلى وهو لا يفيد اليقين ولا يحصل الإيمان المطلوب ولأن العلم بها لم يعم جميع الناس لإنكار علماء الفلاسفة ، البعث ومابعده وكذلك القول بقدم العالم أو بأن الله تعالى فاعل بالطبع أو العلة لا يكون خروجا عن الدين أيضا لأنه لم يعم العلم به جميع الناس على ما هو معروف من الخلاف فيه بين علماء المسلمين وعلماء الفلاسفة ، وقس على هذا ما أشبهه من المفاسد والضلالات التى فتح بابها هذا المبتدع الجاهل بما استقعده ومهده ، وقد سبق المعتزلة إلى القول بأن الدليل النقلى لا يفيد اليقين مطلقا وانخدع بكلامهم طائفة من الأشعرية غير مدركين ما يلزم على هذا القول من الخطر العظيم وتفطن الحشوية لذلك فقالوا : إن الدليل النقلى يفيد اليقين مطلقا على النقيض مما ادعاه أولئك ، والقولان - وإن كانا باطلين - فأولهما أشد بطلانا وأعظم على الذين ضررا والحق أن الدليل النقلى يفيد اليقين بانضمام قرائن هذا مذهب الماتريدية وهو الذى حققه الإمام الرازى فى المحصول والآمدى فى الابكار والقاضى ناصر الدين البيضاوى فى الطوالع والأصفهانى فى شرحها والتاج السبكى فى جمع الجوامع والسعد فى شرح المقاصد والتلويح والسيد فى شرح المواقف وحواشى الطوالع وغيرهم ، ودلائله مستوفاة فى مظانها من الكتب المذكورة وغيرها مع التوسع فى إبطال دعوى التوسع المعتزلة ، لكن لا بأس أن نشير إلى

ذلك بشيء من الإيجاز فالمعتزلة يقولون : إن إفادة الدليل النقلي لليقين تتوقف على العلم بوضع الألفاظ وبإرادة معانيها منها والعلم بالوضع يتوقف على نقل العربية لغة ونحوا وصرفا ، وهذه الثلاثة إنما تثبت بنقل الآحاد كالأصمعي والخليل وسيبويه وهو محتمل للخطأ والكذب وعلى تقدير صحة الرواية يجوز الخطأ على العرب فقد خطىء امرؤ القيس فى مواضع وهو من أكابر شعراء الجاهلية والعلم بإرادة تلك المعانى يتوقف على عدم نقل الألفاظ عن معانيها المخصوصة التى كانت موضوعة بإزائها زمن النبي ﷺ إلى معان أخرى وعدم الإشتراك والمجاز والإضمار والتخصيص والنسخ وعدم هذه الأمور ظنى فلا يحصل العلم بالوضع والإرادة ولو حصل فإفادة اليقين تتوقف على العلم بعدم المعارض العقلى المحوج إلى تأويل الدليل النقلى وعدم المعارض غير مجزوم به ، هذا كل ما أبدوه لتأييد زعمهم لكنه لم يفدهم شيئا . أما اللغة العربية فالحق كما قال الشوكانى أنها كلها منقولة بطريق التواتر لأن المشتغلين بنقلها فى كل عصر عدد يمتنع تواطؤهم على الكذب والخطأ كما لا يخفى على من له إلمام بأحوال علماء اللغة العربية ، وتوهم اقتصار نقلها على الأصمعى والخليل وسيبويه قصور فمن توهمه . وما أورده صاحب المحصول من الإشكالات على نقل اللغة بالتواتر — مع كونه أجاب عنه — من قبيل التشكيك فى الضروريات وقد اختار بعد أن أورد إشكالا على نقل الآحاد أيضا أن اللغة والنحو والتصريف ينقسم إلى قسمين متواتر يفيد العلم الضرورى بأن هذا اللفظ موضع لهذا المعنى وآحاد يفيد الظن قال : وأكثر ألفاظ القرآن ونحوه وتصريفه من القسم الأول والثانى فيه قليل جدا فلا يتمسك به فى القطعيات ويتمسك به فى الظنيات اهـ وتجويز الخطأ على العرب مبالغة فى المكابرة ، وهو مع هذا يستلزم

وقوع الخطأ فى القرآن تبعا لخطأ العرب فى لغتهم !! وفى هذا من الكفر والتهافت مالايخفى . والأمور المذكورة — وتعرف بالاحتمالات العشر — لا يتأتى دخولها فى كل دليل نقلى كما هو ظاهر إذ من الأدلة مالا يقبل التخصيص أو النسخ قطعا لكونه خاصا أو خبرا محضا على أن القرينة إذا انضمت إلى الدليل تفيد اليقين بنفى كل احتمال ، ومما يجب التنبيه عليه أن التوسع فى الاحتمالات العشر على النحو الموجود فى كتب المتأخرين بدعة قصد بها صرف النصوص عن معانيها المعروفة حتى لا يبقى منها نص سالم من تحريف أو تلاعب يسمى تأويلا كما نرى اليوم هذا المفتى وأمثاله من الجهلة المبتدعين يتخلصون من نصوص الكتاب والسنة بدعوى الاحتمالات والتأويلات والأئمة المتقدمون لم يعرفوا شيئا من هذا بل قرروا أن الخاص وما فى معناه يدل على معناه دلالة قطعية لأن الغرض من الوضع الدلالة عند الاطلاق وإلا لم يكن للوضع فائدة ، قالوا واحتمال المجاز ونحوه لا يؤثر فى قطعية الدلالة بشىء لأنه ليس احتمالا ناشئا عن دليل فلا اعتداد به . والمعارض العقلى لا يتصور هنا إذ لا طريق للعقل فى المسائل الشرعية على أن الحق كما قال السعد فى شرح المقاصد : أن إفادة النقلية اليقين تتوقف على عدم العلم بالمعارض لا على العلم بعدمه إذ كثيرا ما يحصل اليقين من الدليل ولا يخطر المعارض بالبال إثباتا أو نفيا فضلا عن العلم بعدمه فالمراد بقولهم إن إفادتها اليقين تتوقف على العلم بعدمه أنها تكون بحيث لو لاحظ العقل المعارض جزم بعدمه اهـ وفرض وجود معارض عقلى من الافتراضات الوهمية التى لا يمكن تحققها أبدا لأن الأمور الشرعية البحتة لا دخل للعقل فيها بأكثر من أنها ممكنة جائزة ، ولأن ما أتى فى الكتاب والسنة لا يخلو من

أحد وجهين إما أمور اقتضى العقل وجوبها كوحدانية الله وتنزهه عن جميع النقائص واتصافه بجميع الكمالات وصدق الرسل وعصمتهم من الخطأ فى التبليغ وما إلى ذلك، وإما أمور حكم العقل بجوازها كالسمعيات. ومن المحال أن يوجد معارض عقلى لأمر دل العقل على وجوبه أو جوازه، ويجب لهذه المناسبة أن نبين انتفاء الأمور المذكورة فى مسألتنا فنقول: تقدم فى أول الكتاب تواتر نزول عيسى عليه السلام وبيان الجمع الكثير الذين رووه خلفاً عن سلف وطبقة بعد طبقة والعلم حاصل بأن لفظ عيسى بن مريم علم على الرسول الذى بعثه الله إلى بنى اسرائيل وأنزل عليه الانجيل إلى آخر ماجاء عنه فى القرآن مما يفيد القطع واليقين بأن هذا الاسم لم يدخله نقل ولا اشتراك كالحال فى أسماء الأنبياء والرسل الموجودة فى القرآن العظيم ولا يتصور دخول النسخ هنا أبداً. قال الزركشى فى البحر: إن كان مدلول الخبر مما لا يمكن تغيره بأن لا يقع إلا على وجه واحد كصفات الله تعالى وخبر ماكان من الأنبياء والأمم وما يكون من الساعة وآياتها كخروج الدجال فلا يجوز نسخه بالاتفاق كما قاله أبو اسحق المروزى وابن برهان فى الأوسط لأنه يفضى إلى الكذاب اهـ والتخصيص منتف يقيناً أيضاً إذ ليس فى اللفظ عموم يحتمله، وأما المجاز والاضمار فيبطل احتمالهما ألفاظ الحديث الكثيرة المصرحة بأن عيسى بن مريم ينزل من السماء بين ملكين وأنه يصلى مؤتماً بإمام المسلمين وأنه يحج ويعتمر ويزور القبر النبوى ويقتل الدجال ويجاهد الكفار ويتولى الخلافة العظمى وينزل عليه جبريل عليه السلام، ولما أراد عمر رضى الله عنه أن يقتل ابن صياد لظنه أنه الدجال قال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم «إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم» أفبعد

هذه الصراحة يزعم أن فى اللفظ مجازا ؟ ! ! تالله إن هذا الزعم لهو منتهى الوقاحة ! أما المعارض العقلى فلا يتصور هنا كما بين آنفا كيف والعقل قاض بجواز هذا الأمر جازم بإمكانه ؟ ! ! فتبين أن خبر نزول عيسى عليه السلام يقينى من جميع جهاته : يقينى الورود يقينى الدلالة يقينى الارادة . ومن هنا تدرك أن تصريح الحافظ السيوطى بكفر منكر نزول عيسى عليه السلام لم يكن تساهلا أو إسرافا كما ظن المتساهلون ، ولكنه مبنى على أساس من العلم متين ، وإن عذر الجاهل بعدم علمه فما عذر هذا المبتدع المتعنت بعد أن أقيم عليه الدليل ، ووضحت له السبيل ! ومن يدرى ؟ ! فلعل عذر أن قلبه المريض لم يطمئن ونفسه الخبيثة لم تذعن وهو إنما يستمد العقيدة من قلبه وهواه ، أما زعمه أن العمليات المختلف فيها ليست من العقائد ، فزعم مستحدث اضطره إلى استحداثه حب الإصرار على إنكار نزول عيسى والدجال وسائر ما لا يوافق المزاج ولم يسبق إلى هذا الزعم أحد من علماء الكلام وغيرهم كيف والكتب المؤلفة فى العقائد — من جميع الفرق — إنما وضعت للرد على المخالفين ؟ ! ثم تكلم على الآيات المتعلقة بعيسى عليه السلام ونفى أن تكون نصا فى نزوله ، لكنه لم يفهم معنى النص ولا فهم كلامنا فخبط خبط عشواء كعادته وقد تقرر فى الأصول أن الظاهر إذا انضمت إليه قرائن صار نصا كما تقرر أن الاحتمال الضعيف أو الباطل الذى لم يعضده دليل لا يؤثر فى نصوصية اللفظ فعلى أساس هذا تكلمت على الآيات وبينت دلالتها على نزول عيسى نصا وأوردت كلام ابن جرير وأبى حيان وابن كثير وغيرهم استئناسا لا استدلالا وابطلت قول من خالفهم فما زاد فى رده على أن كرر الاحتمال الباطل وأيده بالقول الضعيف فلم يصنع شيئا وطريقة الرد

العلمى فى هذه المسألة تكون بأحد أمرين : إما بأن يبطل ما تقرر فى الأصول مما بنيت عليه كلامى ، وإما أن يسلمه ويبطل القرائن التى ذكرتها معينة للمراد من الآيات ، وغير هذا عبث لا يعنينا تتبعه . ثم الذين استدل بكلامهم مصرحون بنزول عيسى مؤمنون به فما الذى جعل كلامهم حجة فى شىء دون شىء؟! ثم تكلم عن السنة وثبوت العقيدة فأعاد ما ذكره من قبل أن حديث الآحاد يفيد الظن وأنه لا يفيد عقيدة بالإجماع وغير ذلك مما سبق أن دللنا على بطلانه ونجده ينقل كلام الحافظ فى النخبة بواسطة مسلم الثبوت وذلك دليل على اطلاعه وتحريه فى النقل !!! ثم ذكر التواتر وصعب شروطه ما شاء وذكر أن المتأخرين أسرفوا فى وصف الأحاديث بالتواتر إلى آخر ما قال مما يعذر بجهله له ، لكن يلام أشد لوم على التهجم فيه لقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا يعنينا مما هذر به إلا كلام ابن الصلاح وهو لا يرد علينا لأمور · «أحدها» أنه غير مسلم فقد رده الحافظ العراقى فى نكتته عليه وذكر أمثلة كثيرة للمتواتر وكذا رده الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة وقال . إنه نشأ عن قلة الاطلاع على الطرق ومعرفة أحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لابعاد العادة أن يتواطئوا على الكذب أو يحصل منهم اتفاقا قال ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة فى الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدى أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة تواطؤهم على الكذب أفاد العلم اليقينى بصحته إلى قائله ومثل ذلك فى الكتب المشهورة كثير . ا هـ . وقال الحافظ السيوطى فى مبحث المتواتر من ألفيته : —

وبعضهم قد ادعى فيه العدم　　　وبعضهم عزته وهو وهم
بل الصواب أنه كثير . .　　　.. وفيه لي مؤلف نضير

والمؤلف الذي أشار إليه اسمه «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» ذكر فيه عشرة أحاديث ومائة حديث، وألف العلامة النسابة ختام المحدثين بمصر السيد محمد مرتضى الزبيدي رسالة سماها «لقط اللآلي المتناثرة» ذكر فيها سبعين حديثا لخصها من الأزهار وألف العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني كتاب «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ذكر فيه نحو ثلاثمائة حديث ولشقيقنا العلامة المحدث السيد أحمد كتاب «الالمام بما تواتر من حديثه عليه السلام» وهو أوسع كتاب في هذا الباب رتبه على أربعة أقسام، قسم منها للكلام على الأحاديث التي أدعى بعض الناس أنها موافرة مع أنها لم تستكمل شروط التواتر. والمقصود أن دعوى قلة التواتر أو عدمه غير مسلمة «ثانيها» ولو سلمنا أن كلام ابن الصلاح صحيح فهو إنما أراد به التواتر اللفظي بدليل تمثيله بحديث «من كذب علي» ولأنه المفهوم عند الإطلاق. ولم يرد بكلامه المتواتر المعنوي وحديث نزول عيسى منه اللفظي، «ثالثها» ولو سلمنا أنه أراد اللفظي والمعنوي معا فهو إنما ادعى القلة فليكن حديث نزول عيسى عليه السلام من القليل الذي أقر بوجوده، إلا أن يثبت عنه أنه نفى تواتر هذا الحديث بخصوصه ودون ثبوت هذا عنه خرط القتاد ولو سلمنا ذلك فيكون كلام الحفاظ الذين أثبتوا تواتره مقدما على نفيه وجوبا لأمرين، «الأول» أن المثبت مقدم على النافي كما تقرر في علم الأصول، لأن المثبت معه زيادة علم ولهذا يقول ابن تيمية، إن أكثر الجهل إنما يقع في النفي لا في الاثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه. انظر اقتضاء الصراط المستقيم «والثاني» أن

الواحد أقرب إلى الخطأ والغلط من الجمع، لأن فى تضافر الآراء وتوافق الأقوال من القوة ما ليس فى الرأى الواحد المنفرد وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى استدلال ولهذا مع ماورد من قوله عليه الصلاة والسلام « إن الله لا يجمع أمتى على ضلالة » وفى حديث آخر « يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فانه من شذ شذ فى النار » عد اتفاق مجتهدى الأمة فى أى عصر حجة شرعية يجب اتباعها ولا تجوز مخالفتها كما بين فى محله، وستأتى الاشارة إلى شيء منه بحول الله. أما دعوى ذلك المبتدع أن المتأخرين أسرفوا فى وصف الأحاديث بالتواتر فيسأل عنها ماذا يريد بالمتأخرين ؟، إن أراد المتأخرين من غير أهل الحديث فلا عبرة بكلامهم ، وإن أراد المحدثين فهو كذب لا يحتاج إلى بيان فأهل الحديث أشد الناس احتياطا فى الأحاديث كما هو معلوم. قال ابن دقيق العيد فى الاقتراح . إنهم زادوا فى حد الصحيح شرط السلامة من الشذوذ والعلة وفيه نظر على مقتضى نظر الفقهاء فان كثيرا من العلل التى يعلل بها المحدثون لا تجرى على أصول الفقهاء اهـ فهم كما ترى أكثر تحريا وما أجدرهم بذلك لأنهم يتحملون مسئولية الرواية عن صاحب الشرع ، وهو أمر خطير جدا ولو ذهبنا نعد الأحاديث التى صرحوا بضعفها أو بحسنها فقط مع تعدد طرقها ورواتها بحيث تبلغ العشرين وتزيد ، لطال الحال واقرأ طرق أحاديث « من حفظ على أمتى أربعين حديثا . وطلب العلم فريضة على كل مسلم، وتخليل اللحية فى الوضوء » ثم انظر ماذا قال عنها أهل الحديث؟ على أن الذين صرحوا بتواتر حديث نزول عيسى عليه السلام متقدموا أئمة الحديث كابن جرير والآبرى كما صرح بالتواتر أيضا من المتأخرين من يعز وجود مثله بين كثير من المتقدمين فى سعة الاطلاع وشدة البحث والتحرى وهو الحافظ

ابن حجر الذى يقول فى التخليص الحبير متعقبا قول أبى اسماعيل الهروى إنه كتب حديث «إنما الأعمال بالنيات» عن سبعمائة نفر من أصحاب يحى بن سعيد ما نصبه ، تتبعته — يعنى الحديث — من الكتب والأجزاء حتى مررت على أكثر من ثلاثة آلاف جزء فما استطعت أن أكمل له سبعين طريقا اه. وذكر فى الفتح : أنه ما من حديث ذكر المتقدمون له طرقا إلا ازاد عليها طريقا أو أكثر إلا هذا الحديث يعنى حديث الأعمال بالنيات . فمثل هذا الحافظ إذا حكم بصحة حديث أو تواتره لم يكن مسرفا بل المسرف من يصفه بذلك، ثم ذكر المبتدع أن القائمين بالترغيب والترهيب ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار لهم أثر عظيم فى خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصة من الأحاديث التى ليست بمشهورة ولا متواترة بل ربما كانت غير صحيحة اه.

وهذا كذب يتبين بوجوه «الأول» : أن علماء الحديث قرروا جواز التساهل فى الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع فى باب المواعظ والقصص وما إليها كما نقل المبتدع نفسه فلم يكن للقائمين بالترغيب والترهيب حاجة والحالة هذه إلى وصف الأحاديث بالشهرة أو التواتر لأن لهم فى الضعيف بله الحسن والصحيح مجالا واسعاً «الثانى» : أن القائمين بالترغيب والترهيب غرضهم ترقيق قلوب العامة وذلك لا يتوقف على صحة الحديث فضلا عن شهرته أو تواتره لأن العامة لا تعرف ألقاب الحديث الاصطلاحية ، ولا تهمها معرفتها «الثالث» أن أغلب القائمين بالترغيب والترهيب جاهلون بعلوم الحديث وقواعده والعالم منهم لا يعتنى بذلك فى مجالس وعظه وترغيبه كما مر آنفاً ، وهذا أبو الفرج ابن الجوزى حافظ بغداد وواعظها الفذ تجده لا يعنى فى كتبه الوعظية بتصحيح حديث أو تحسينه بل يكتفى بقوله : روى كذا أو ورد فى الأثر أو

جاء فى الخبر ، ونحو ذلك على حين تجده فى كتبه العلمية كالموضوعات بسند الحديث ويحقق الكلام عليه ويوفيه حقه من البحث حتى ليخيل إليك أن المتكلم شخصان . والحاصل أن أحداً من القائمين بالترغيب لم ينص على صحة حديث فضلا عن استفاضته أو تواتره ولو سلم أن أحدا منهم نص على ذلك فالحفاظ لا يقلدونه فى قوله . كيف وهم يحذرون من أكاذيب القصاص والوعاظ كما يعلم من كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزى والباعث على الخلاص من أكاذيب القصاص للحافظ العراقى وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص للحافظ السيوطى ، حتى إن مما يثير الدهش عندهم أن يكون القاص يتقن حفظ الحديث فقد ثبت عن حماد بن سلمة أنه قال : كنت أسمع أن القصاص لا يحفظون الحديث فكنت أقلب على ثابت الأحاديث أجعل أنسا لابن أبى ليلى وأجعل ابن أبى ليلى لأنس أشوشها عليه فيجىء بها على الاستواء ، ولو سلم أن أحدا من الحفاظ قلد واعظا فى تصحيح حديث - إن صححه - فحديث نزول عيسى عليه السلام خاصة لم ينص على تواتره واعظ ولا قلده فيه حافظ فظهر أن ما زعمه المبتدع من أسباب وصف الأحاديث بالتواتر فرية ما فيها مرية ، والعجيب منه أنه ذيل كلامه السابق بحاشية صغيرة قال فيها ما نصه : وقد روى عن الإمام أحمد أنه قال أربعة أحاديث تدور بين الناس فى الأسواق ولا أصل لها .. ألخ . اه ولم يذكر بقية الكلام ونحن نذكرها وهى . من بشرنى بخروج آذار بشرته بالجنة ، ومن آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة ، ويوم نحركم يوم صومكم ، وللسائل حق وإن جاء على فرس ، هذا تتمة ماروى الإمام أحمد ولا علاقة له بموضوعنا كما هو ظاهر فلا أدرى لم ذكره المبتدع(١) ؟ ! ! ! ثم إن هذا

(١) يظهر لى أنه أراد قول الميمونى سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصل

الكلام لا يصح عن الإمام أحمد كما قال الحافظ العراقى لأن حديث (للسائل حق وإن جاء على فرس) رواه الإمام أحمد نفسه فى مسنده عن الحسين بن على رضى الله عنهما مرفوعا بإسناد جيد، وله طرق عن على وابن عباس والهرماس بن زياد. وحديث (من آذى ذميا) رواه الخطيب فى التاريخ عن ابن مسعود وقال: منكر والحمل فيه عندى على العباس بن أحمد المذكور لأنه غير ثقة لكن روى أبو داود والبيهقى عن صفوان بن مسلم عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم دنية عن رسول الله ﷺ قال (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة، سكت عليه أبو داود وأما حديث من بشرنى بخروج آذار فلا أصل له نبه عليه ابن الجوزى فى الموضوعات وكذلك حديث: يوم صومكم يوم نحركم، قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم إمام المالكية فى وقته: هو من حديث الكذابين ثم قال المبتدع . بقى بعد هذا أمر لا بد من تقريره وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذى لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعا من تأويلها اه وأقول هذا آخر سهم فى جعبته وهو أشد ضربة وجهها الباطنية والملاحدة إلى الإسلام للقضاء عليه لكن لن ينالوا مرادهم منه بحول الله. والمغازى والملاحم والتفاسير . هذا ما قصده المبتدع ولكن العبارة تصحفت عليه. ومع ذلك فليست هذه الكلمة على إطلاقها قال الخطيب الحافظ: هذا محمول على كتب مخصوصة فى هذه المعانى الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها اه وانظر بقية كلامه فى كتاب الجامع، ونزول عيسى ليس مرادا هنا جزما لأنه متواتر ومخرج فى الصحاح ومذكور فى جملة عقائد السلف كما سبق فى كلام الإمام أحمد نفسه وأبى الحسن الأشعرى وغيرهما .

الله ما دام للإسلام عرق ينبض وحماة يذبون عنه ، يدفعون عنه غائلة العاقين له والخارجين عليه وأكثر الناس استعمالا لسلاح التأويل طائفتها البهائية والقاديانية . ثم شرذمة من دعاة الإصلاح مثل الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد ثم يأتى المبتدع فى مؤخرة القطار يردد الصدى ويعيد النغمة ويوقظ الفتنة بعد نومها !

أما البهائية فهى وليدة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ثم اخترع لها مؤسسوها صورا من الباطل وصاروا يزعمون أنها وحى سماوى ودعوى الباطنية تقوم على ابطال الشريعة الإسلامية بتأويل نصوصها وأحكامها وصرفها عن معانيها المعروفة فى اللغة والشرع إلى معان فاسدة يدعون أنها المقصودة . وقد بين السيد فى شرح المواقف أصل نشأة هذه الدعوى وسببها وأن طائفة من المجوس هم الذين أنشأوها ولأبى بكر ابن العربى مع بعض زعماء الباطنية مناظرات ذكرها فى كتاب القواصم والعواصم ، كما أن أبا العباس ابن تيمية رد عليهم فى كثير من مؤلفاته منها رسالة خاصة سماها (بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد) ومن رأى كتب البهائية أو البابية وقرأ ما تسلكه من تحريف النصوص وجدها كما قلنا وليدة الباطنية ودسيسة متفرعة عنها . وفى كتاب الدرر البهية لأحد دعاتهم أبى الفضل الجرفادقانى من هذا التحريف العجب العجاب يطول بى الكلام إن نقلته لكنى آثرت أن أنقل القاعدة الكلية التى هى أساس نحلتهم . أورد الجرفادقانى فى كتابه المذكور قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما

يأتيهم تأويله ، وقوله تعالى « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » ثم قال : ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية بل المراد المعانى الخفية التى أطلق عليها الألفاظ على سبيل الكناية والتشبيه والاستعارة وقال بعد هذيان من هذا القبيل : وفى نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها إلى معانيها الأصلية المقصودة لاتظهر إلا فى اليوم الآخر يعنى يوم القيامة ومجىء مظهر أمر الله وإشراق آفاق الأرض بهاء وجه الله قال : ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان — هو كتاب وضعه ميرزا على محمد الملقب بالباب — تافهة باردة عقيمة جامدة بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة !! هذا هو الأساس الخطير الذى وضعوه لهدم الشريعة وهى أخطر مكيدة دبرت للاسلام لأنهم يقولون نحن نؤمن بالقرآن وبأنه حق ، لكنه مؤول فليس المراد بالصلاة والصيام والزكاة والبعث والجنة والنار وغيرها المعانى الظاهرة التى يفهمها العامة بل المراد معانى خفية رمز إليها بهذه الألفاظ على سبيل الكناية ثم يذكرونها بما يتفق وأهواءهم ، وأما القاديانية فهى تتفق مع البهائية فى تأويل النصوص وتحريفها وإن كانت تختلف معها فى مسائل كثيرة كما يعلم من مراجعة كتبها ومؤسسها غلام أحمد القاديانى كان يدعى أنه نبى ورسول ويؤول قوله تعالى « وخاتم النبيين » ويدعى أنه أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام ، ويزعم خرافات وأكاذيب يطول تتبعها . وقد قام علماء الهند جزاهم الله خيرا وأكثر أمثالهم ضد هذا الدعى الكذاب وردوا عليه وبالغوا فى تفنيد كذبه رغم

مضايقة السلطة البريطانية لهم وتأييدها له بحيث كانت تبعث معه رجالا من الشرطة يحمونه من المسلمين إذا ذهب لمحاضرة أو مناظرة كما هو معلوم من ترجمته . وليس غرضنا أن نفيض فى بيان هاتين الطائفتين وفساد طريقتهما فقد ألفت فى ذلك كتب خاصة وإنما غرضنا أن نقول : ان كل فسوق ومروق وكفر وضلال وزندقة وإلحاد منشؤها التأويل . فاستعرض أحوال الدعاة من متألهين ومتنبئين ومتمهدين ثم انظر أرباب الفرق من معتزلة ومرجئة وقرامطة وباطنية وغيرهم تجد الباب الذى دخلوا منه جميعاً التاويل وإن اختلفوا فى النزعات والأهواء والأغراض والميول ، ولذا كان أهل السنة موفقين كل التوفيق حين ضيقوا دائرة التاويل وجعلوه مقصورا على حالة الضرورة لا يتعداها لأنه بمثابة الرخصة . وقرروا أن كل ما جاز فى العقل وورد بوقوعه السمع ،وجب حمله على ظاهره كما نص عليه الإمام ابن المنير فى الكلام على سورة الحديد من الانتصاف والعلامة السنوسى فى شرح الكبرى وهى قاعدة اجماعية مسلمة بين أهل الحق كما يؤخذ من كلام القاضى أبى بكر ابن العربى فى الأحكام والقاضى عياض فى مواضع من الشفا وشرح مسلم والنووى فى شرح مسلم وابن حجر فى فتح البارى وغيرهم.ولولا هذه القاعدة لما صح الايمان بالمعجزات ولا بشىء من السمعيات.وقول المبتدع : وقد جاء فى شرح المقاصد بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية ما نصه ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة اهـ يشتمل على خطأ وخيانة وجهل أما الخطأ فاعتماده على تقرير صاحب المقاصد

آحادية أحاديث أشراط الساعة مع أن إثبات التواتر والآحاد والصحة والضعف يرجع فيه إلى أهل الحديث أرباب الشأن كما قال الحافظ العراقي : —

فاعن به ولاتخض بالظن * ولا تقلد غير أهل الفن

وأكثر الأغلاط إنما تأتى من قبل تكلم الشخص فى غير فنه ، وشواهد ذلك كثيرة . وما بالعهد من قدم فهذا المبتدع لما تسور على مالا يحسنه وتكلم فيما لا يعلمه أتى بما يضحك الثكلى وهو لايشعر ، وأما الخيانة فحذفه من الكلام المنقول جملة هى محل الفائدة وعليها ينبنى الكلام وذلك أن السعد قال فى شرح المقاصد : وبالجملة فالأحاديث فى هذا الباب كثيرة رواها العدول الثقات وصححها المحدثون الأثبات ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة لأن المعانى المذكورة أمور ممكنة عقلا وزعمت الفلاسفة أن طلوع الشمس من مغربها مما يجب تاويله بانعكاس الأمور الخ ماذكره السعد فاذا قابلته بما نقله عنه المبتدع وجدته يشتمل على عدة خيانات إحداها : حذف صدر كلام السعد الذى يقول فيه : إن أحاديث الأشراط كثيرة رواها العدول الثقات وصححها المحدثون الأثبات ولاشك أن لفظ (كثيرة) يصدق بأنها متواترة أو مشهورة على الأقل يضم إلى هذا تصريحه بأنها صحيحة ومعنى هذا أن دعوى المبتدع ضعفها واضطربها كذب بنص من يحتج بكلامه ثانيها حذف قول السعد لأن المعانى المذكورة امور ممكنة عقلا مع أن هذه الجملة هى محل الفائدة لأن السعد أشار بها إلى القاعدة السابقة التى بنى عليها الإيمان بسائر السمعيات كما تقدم ثالثها : حذف قول السعد وزعمت الفلاسفة

الخ . . لإيهام القراء أن المؤولين علماء من المسلمين وأن السعد راض عن التاويل مجوز له ، مع أن الأمر بالعكس ولو أن المبتدع كان محقا لم يكن فى حاجة إلى استعمال هذه الخيانات المزرية وفى الحديث الصحيح « كل خلة يطبع عليها المؤمن ليس الخيانة والكذب » وأما الجهل فبفهمه من قول السعد ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند علماء الشريعة ، الامتناع الشرعى وتفريعه عليه بقوله : ومن ذلك نرى أن السعد لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعى الدلالة الذى يمتنع تاويله وإنما يقرر بصريح العبارة أنه لامانع من حملها على ظواهرها فيعطى بذلك حق التاويل لمن انقدح فى قلبه سبب للتاويل اه وهو فهم مضحك وصاحبه فى حاجة شديدة إلى تعلم مبادىء من علم المنطق وعلم الكلام ومعرفة اصطلاحات أهلهما حتى يستعد لفهم كلام السعد وأمثاله من العلماء ، وما أشبه فهمه هذا بفهم شيخ سأله تلميذه عن قول المناطقة (كلما كان الإنسان ناطقا فالحمار ناهق) : إنها شرطية اتفاقية ، لم سموها كذلك ؟ فأجابه الشيخ : لأنه اتفق أن إنسانا نطق وحمارا بالقرب منه نهق اه وبعد فان السعد وغيره من العلماء يقصدون بالعبارة المذكورة عدم الامتناع العقلى ويبنون عليه وجوب اعتقاد ما دل عليه الدليل السمعى فقول السعد لا يمتنع حملها على ظواهرها أى عقلا بدليل قوله لأن المعانى المذكورة أمور ممكنة عقلا وتارة يقول هو أو غيره هذه أمور جائزة أى عقلا فيجب اعتقادها شرعا لورود السمع بها وهذه التعبيرات معروفة لعلماء الكلام متداولة بينهم لا تخفى على من عرف مرامى كلامهم وخبر اصطلاحاتهم ومن الدليل على أن السعد لم يرد الامتناع الشرعى تعليله بالإمكان العقلى ولا شك أن عدم الامتناع الشرعى لا يعلل إلا

بتجويز شرعي إذ هو المناسب أما الإمكان العقلي فلا يناسبه لأمرين الأول أن الشرعي هو ما استفيد من الشرع لا من غيره ، الثاني : أن الإمكان العقلي لا يستلزم الجواز الشرعي لأنه أعم منه فكم من أمر ممكن عقلا ممتنع شرعا ولم يكن يدور بخلدنا أن نقف من المبتدع موقف المعلم نصلح له أخطاء يترفع عن الوقوع فيها من عرف شيئا من إيساغوجي وصغرى السنوسي لكن من أدعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان ! وقوله : ولا شك أن هذا منه لم يكن إلا لأنه يعتقد كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله أن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك ومن أداه نظره إلى تاويلها فله ذلك شان كل ظنى فى دلالته اهـ جهل مبنى على جهل وإراءة للسعد ما لم ير ، وتقويل له ما لم يقل . فعبارة السعد التى دلس فيها المبتدع صريحة فى ان الإيمان بأشراط الساعة واجب لورودها فى الأحاديث الكثيرة التى رواها العدول الثقات وصححها المحدثون الاثبات ، مع أن الأشراط أمور ممكنة عقلا لا يمتنع حملها على ظواهرها أى لا يلزم منه محال عقلى حتى تحتاج إلى التأويل . وكذلك عبارته فى شرح العقائد النسفية وعبارة غيره من العلماء فى كتب العقائد وقد ذكرنا منها فى هذا الكتاب ما فيه كفاية . ومما اشتمل عليه كلام المبتدع من الجهل غير ما سبق تخييره فى العقيدة بين الإيمان بها وعدمه ، وبين تاويلها وعدمه ، وسبق منه محاولة جعل الخلاف فى العقائد كالخلاف فى الفروع لا إثم فيه ولا فسوق . وكل هذا جهل وضلال ومروق كما يعلم من مراجعة كتب العقائد وغيرها . ثم ننتقل إلى الكلام على تأويل نزول عيسى عليه السلام ونبين ما فيه بعد أن نمهد لذلك بقواعد تنير السبيل

وتهدى الحائر (القاعدة الأولى) التمسك بظاهر الكتاب والسنة فرض لازم لامفر منه ولامحيض. لأن الله تعبدنا بهما وألزمنا اتباعهما وهذا أمر لايحتاج إلى بيان لأنه معلوم من الدين بالضرورة (القاعدة الثانية) يصح العدول عن ظاهرهما وارتكاب التأويل إذا وجد المانع وتحقق الشرط والمانع أحد أمور ثلاثة الأولى معارض عقلى ونعنى به أن يخالف ظاهر اللفظ قضية عقلية مسلمة لا تختلف فيها العقول أما أن يقصر إدراك الشخص عن فهم اللفظ فيحكم بمخالفته للعقل فهذا لا يجوز بل الواجب على الشخص فى هذه الحالة أن يتهم عقله وإدراكه، يقول الإمام الغزالى فى قانون التأويل: وليعلم أن العالم الذى يدعى الاطلاع على مراد النبى ﷺ فى جميع ذلك — أى الظواهر المشكلة — فدعواه لقصور عقله لالوفوره اهـ وأكثر أخطاء الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد فى تأويل الآيات ورد الأحاديث كانت من هذا القبيل لأنهما كانا واثقين بعقلهما مزكيين له تمام التزكية ولم يخطر على بالهما قط أن عقلهما لابد أن يقصر عن فهم مراد الله ورسوله فى كثير من المسائل كما هو شأن العقل البشرى، الثانى وجود معارض نقلى أقوى من الظاهر أو مساوله فى القوة، الثالث وجود قرينة تمنع من إرادة الظاهر كأن يكون فى الكلام قرينة على إرادة المجاز، وأما الشرط فهو أن يتعذر الجمع إذا وجد التعارض فان أمكن الجمع بوجه من الوجوه وجب المصير اليه (القاعدة الثالثة) التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله بدليل أو أن شئت قلت حمل الظاهر على المحتمل المرجوح بدليل يصيره راجحا، وهذا هو التأويل الصحيح ثم لابد أن يكون الدليل أرجح من الظاهر فان كان دونه أو مساويا فالتأويل فاسد أما إذا لم يكن دليل فهو حينئذ لعب

لا تأويل ، قال ابن برهان: باب التأويل أنفع كتب الأصول وأجلها ولم يزل الزال إلا بالتأويل الفاسد اهـ ومحل الفائدة من هذه القاعدة أن التأويل لا يقدم الشخص عليه إلا بدليل أرجح كما علم ، (القاعدة الرابعة) النص لا يقبل التأويل لأنه قطعي في معناه وكذلك الظواهر إذا تعددت وتواردت على إفادة معنى صارت قطعية فيه، فلا تقبل التأويل لأن في اجتماعها وتضافرها من القوة ما ليس في انفراد واحد منها ألا ترى أن خبر الآحاد يفيد الظن فإذا انضمت إليه قرائن أو تعددت طرقه حتى تواتر أفاد اليقين ، (القاعدة الخامسة) قال أبو العباس ابن تيمية : إن كلا من الدليل النقلي والعقلي إما قطعي وإما غير قطعي فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا حتى نرجح أحدهما على الآخر وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقا وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول لأن ما ندركه بغلبة الظن مع كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جداً اهـ إذا تمهدت هذه القواعد فنقول: نزول عيسى عليه السلام مجمع عليه بين علماء السنة كما تقدم والذين أولوه هم - مع كونهم مبتدعين وفيهم كفرة - متلاعبون مبطلون لأن نزول عيسى عليه السلام أمر جائز في القدرة لم يدع أحد ولن يدعى أنه محال إلا من لا عقل له وبهذا بطل أن يكون له معارض عقلي وأما المعارض النقلي فربما يتوهم أنه موجود وهو النصوص الدالة على انقطاع النبوة وأنه لا نبي بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، لكن الجمع ممكن ذكره القاضي عياض في كلامه المنقول صدر الكتاب كما ذكره غيره، وحاصل الجمع أن عيسى عليه السلام

لاينزل بصفة كونه نبيا أورسولا إذ أن رسالته أداها إلى قومه وانما ينزل بصفة كونه تابعا للنبي عليه الصلاة والسلام وخليفة من خلفائه يقاتل الناس على الإسلام ويحكم فى الأمة بالقرآن والسنة كما نطقت الأحاديث بذلك ففى المعجم الأوسط والصغير وغيرهما عن أبى هريرة مرفوعا (ألا أن عيسى بن مريم ليس بينى وبينه نبى ولارسول ألا أنه خليفتى فى أمتى من بعدى » الحديث وفى كتاب الفتن لأبى الشيخ عن أبى هريرة مرفوعا « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاما يعمل فيهم بكتاب الله وسنتى ثم يموت) الحديث على أن التعارض مدفوع من أصله فان المقصود من النصوص الدالة على انقطاع النبوة قطع دابر الكذابين المتنبئين من هذه الأمة كمسيلمة والأسود العنسى وسجاح واسحاق الأخرس وكذاب قاديان ، والأحاديث ترشد إلى ذلك ففى الصحيح عن أبى هريرة مرفوعا (لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله) وفى الصحيح أيضاً عن ثوبان مرفوعا من حديث طويل ، وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابا كلهم يزعم أنه نبى وأنى خاتم النبيين لا نبى بعدى) الحديث وفى المسند وغيره باسناد صحيح عن حذيفة مرفوعا فى أمتى كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وانى خاتم النبيين لا نبى بعدى) وعيسى عليه السلام معلوم ضرورة أنه أدى رسالته إلى قومه وان نزوله لقتل الدجال لايمس الأحاديث المذكورة ومافى معناها من قرب ولا بعد ولهذا لما اخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنزوله وصفه لنا لئلا يشتبه علينا أمره بكذاب يزعا نه او أن روحه ومبادئه ظهرت فيه وامرنا ان نبلغه سلامه . و لا بأس ان نشير الى

ما أبداه المؤولون من سخافات لتعلم أن من الجهل ما يسمى علماء وتتحقق صدق من قال: لو سكت من لا يعلم لقل الخلاف، والمؤولون طوائف: إحداها الفلاسفة ومن حذا حذوهم زعموا كما حكى السعد وغيره عنهم أن طلوع الشمس من مغربها مؤول بانعكاس الأمور وجريانها على غير ماينبغي والنار الخارجة من الحجاز مؤولة بالعلم والهداية والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك وظهور الدجال بظهور الشر والفساد ونزول عيسى باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح الخ الأشراط. وهؤلاء لم يقفوا عند هذا الحد بل تناولوا أيضاً نصوص الحشر والنشر والجنة والنار بتأويلات فاسدة من هذا القبيل لا دليل عليها من عقل ولا نقل فالاشتغال برد كلامهم وهذيانهم تعب، لأنه تحصيل للحاصل. ثانية الطوائف: ابن هود الدمشقي وأصحابه وهؤلاء كفانا مؤونة الرد عليهم أبو العباس ابن تيمية حيث قال فى رسالة بغية المرتاد: وقد كان عندنا بدمشق الشيخ المشهور الذى يقال ابن هود وكان من أعظم من رأيناه من هؤلاء الاتحادية زهداً ومعرفة ورياضة وأكثر الناس من الكبار والصغار كانوا يطيعون أمره وكان أصحابه الخواص به يعتقدون فيه أنه أى ابن هود المسيح ابن مريم ويقولون أن امه اسمها مريم وكانت نصرانية ويعتقدون أن قول النبي ﷺ «ينزل فيكم ابن مريم» هو هذا وأن روحانية عيسى تنزل عليه وقد ناظرني فى ذلك من كان أفضل الناس عندهم فى معرفته بالعلوم الفلسفية وغيرها مع دخوله فى الزهد والتصوف وجرت بيني وبينهم مخاطبات ومناظرات يطول ذكرها حتى بينت لهم فساد دعواهم بالأحاديث الصحيحة الواردة فى نزول عيسى المسيح وأن ذلك الوصف لا ينطبق على هذا الرجل وبينت لهم فساد ما دخلوا فيه من القرمطة حتى

أظهرت مباهلتهم وحلفت لهم أن ما ينتظرونه من هذا الرجل لا يكون ولا يتم ، وأن الله لا يتم أمر هذا الشيخ . فأبر الله تلك الأقسام والحمد لله رب العالمين ، هذا مع تعظيمهم لى ومعرفتى عندهم وإلا فهم يعتقدون أن سائر الناس مجوبون بحال حقيقتهم وغوامضهم وأن الناس عندهم كالبهائم اه ثالثة الطوائف : القاديانية يزعمون أن أحاديث نزول عيسى محمولة على زعيمهم ميرزا غلام أحمد القادياني المتنبىء الكذاب ويزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام مات وأنه لا سبيل إلى نزوله ولا معنى له وهؤلاء جهلة لا يفرقون بين ما يجوز وما لا يجوز ولا يميزون ما يقبل التأويل مما لا يقبله (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) رابعة الطوائف : طائفة المصلحين المجددين الذين أرادوا أن يهذبوا الدين ! تكلم الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) الآية وادعى أن المراد بالتوفى الإماتة العادية وإن الرفع بعد ذلك هو رفع الروح ثم قال : ولصاحب هذه الطريقة فى حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان تخريجا إحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعى لأن المطلوب فيها اليقين وليس فى الباب حديث متواتر ، وثانيهما تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وما غلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت اليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ، ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح بتحرى

كال الآداب ، انظر تفسير المنار ص٢١٦ —٢١٧ ح ٣ وفى الصفحة نفسها ذكر صاحب المنار أن الأستاذ الإمام ! سئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال ان الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها وإن القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والأسرار وسنة الرسول ﷺ مبينة لذلك فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك اهـ كلام المصلح العظيم !! وهو كما ترى غير خال من القذى والكدر أما دعواه الآحادية وعدم التواتر فمردودة ولا كرامة لأنه ليس من أهل السنة ولا من فرسان ميدانها وأما ما أبداه من التأويل ففاسد ويحلو لى أن أقول أنه تلاعب لا يليق أن يصدر من مصلح وبيان ذلك من وجوه . الأول: أنه لا دليل عليه . الثانى : أنه لو صح لكانت الأحاديث حينئذ مبشرة بانتشار روح المسيحية وذيوع تعاليمها وهو نقيض ما صرحت به من انتشار الإسلام عند نزوله وتعميم تعاليم الكتاب والسنة كما تقدم ويأتى، الثالث : أن الرحمة والمحبة والسلم هى أصل تعاليم الإسلام ولا يعرف دين حافظ على هذه المعانى وحض عليها وأكد حقها مثل دين الإسلام ونصوصه فى ذلك كثيرة جدا حتى أنها أوجبت الرحمة للحيوان الأعجم وتوعدت من قسا عليه أو عذبه باللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة وهل خوطب عيسى أو غيره بمثل ما خوطب به نبى الإسلام حيث قيل له (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ؟ وهل أمر أحد بمثل ما أمر به أهل الإسلام حيث قيل لهم (يأيها الذين أمنوا ادخلوا فى السلم كافة) ؟ فليس من المعقول والحالة هذه أن تكنى الأحاديث عن انتشار المحبة والرحمة والسلم بنزول عيسى لأن حصة الإسلام

فى هذه المعانى أكثر وأثرها فيه أظهر . الرابع : أن أئمة الإسلام وعلماءه من الصحابة وغيرهم عرفوا مقاصد الشريعة ولبابها واجتهدوا قدر استطاعتهم وخلفوا لنا ثروة علمية هائلة لم توجد فى دين من الأديان ولا ظفرت بها أمة من الأمم ، ومن المحال شرعا وعادة أن يأتى فى الأمة من يفوق الصحابة والتابعين وتابعيهم فى فهم الشريعة وأسرارها أو يساويهم حتى يقال أن الأحاديث كنت عنه بنزول عيسى ثم أى علاقة بين فهم شيء وبين نزول شخص ؟ ! ! ولم لم يعبر عن هذا الفهم بنزول الخضر مثلا ؟ الخامس : أن اشتهار دعوة عيسى بالرحمة والمحبة والسلم إنما أتى فى هذه العصور المتأخرة لما اتصل الغرب بالشرق ودرس المستشرقون كتب الإسلام وصاروا يتهمون الإسلام بأنه دين القسوة وأنه انتشر بالسيف ويفضلون دينهم بأنه دين الرحمة والمحبة والسلم ، فلما ترددت فى كتبهم ومحاضراتهم هذه المطاعن وأيدوها بفقرات من أناجيلهم رسخ فى أذهان مسلمة اليوم أن دين عيسى ما يقوله هؤلاء المستشرقون حتى صار اسم عيسى عندهم عنوانا على المعانى المذكورة من غير أن يرد شيء من ذلك فى الدين ، ومن الجهل القبيح أن تؤول ألفاظ الكتاب والسنة بمعانى دخيلة مستحدثة بعد مئات القرون. نعم أديان الله كلها أتت بالرحمة والمحبة والسلم لكن دين الإسلام أكثر وأبرز وأظهر كما سبق ، ولم يؤمر عيسى بالجهاد لأنه بعث إلى شعب خاص بدين خاص به ولم يكلف ابلاغ دينه إلى سائر الناس وهذا بخلاف الإسلام فإنه لما كان دين العالم كله كان لابد — بمقتضى تباين استعدادات أفراد الإنسان — أن تقف فى طريقه عقول مريضة ونفوس خبيثة لا تصغى

بمنطق البرهان ولا تستجيب لدعوة الحق كان فرض الجهاد أمر احتمالا معدل عنه في سبيل إبلاغ الدين إلى بعض العقول وبعض النفوس ، والعقلاء متفقون على استساغة الدواء المر لاستئصال شأفة الداء وقد يقتضى الحال قطع بعض الأعضاء في سبيل سلامة باقيها ، ولتمام هذا البحث موضع غير هذا ، السادس : إن دعوى جمود اليهود على ظواهر ألفاظ التوراة دعوى تفتقر إلى دليل ودون إثباته خرط القتاد بل يمكننا أن نقول - مطمئنين - عكس ذلك وهو أن اليهود وخرجوا على ظواهر ألفاظ التوراة وتحايلوا في التخلص منها وذلك كان سبب كفرهم وضلالهم فقد أخبر الله عنهم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه وذكر أشياء من تحريفاتهم وتحايلاتهم في مواضع من كتابه الكريم ، السابع : أن الأحاديث أخبرت أن عيسى يقتل الدجال ويقاتل الناس على الإسلام وروح عيسى وسر رسالته وتعاليمه ليس فيها قتل ولا قتال . الثامن: إن النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نبلغ سلامه إلى عيسى عليه الصلاة والسلام حين نزوله ومحال عقلا تبليغ السلام إلى روح عيسى وسر رسالته وتعاليمه . التاسع : إن النبي ﷺ أخبر اجتمع بعيسى عليه السلام ليلة الإسراء وأخبره أنه نازل ليقتل الدجال ومن المحال العقلي أن تكون روح عيسى وسر رسالته وتعاليمه اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرته أنها ستنتشر في آخر الزمان وتقضى على الخرافات والدجل كما يقول حضرة المصلح العظيم !! العاشر: أن الأحاديث أخبرت أن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا يديه على أجنحة ملكين وأنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض وإن عليه ممصرتين وأن يصلي

خلف إمام المسلمين ويقتل الدجال ويرى المسلمين دمه فى حربته ويحج البيت ويعتمر ويقف على القبر النبوى الشريف ويسلم فيرد عليه إلخ ما يأتى. ويستحيل عقلا أن يقوم شيء من هذه الصفات بروح عيسى وسر رسالته وتعاليمه الحادى عشر : أن النبى صلى الله عليه وسلم تردد أول الأمر فى ابن صياد أن يكون هو الدجال واستأذنه عمر فى قتله فلم يأذن له وقال « إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم وألا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد » ولو كان المراد دجلا وخرافات تندفع بانتشار روح عيسى وسر رسالته وتعاليمه لكان هذا موطن بيان ذلك المراد لكنه لم يبين بل صرح أن المراد بعيسى والدجال جسمان لا عرضان . الثانى عشر : إن تردد النبى ﷺ فى ابن صياد واستئذان عمر له ورده عليه قاطع فى نفى كل تلاعب مستتر باسم التأويل . الثالث عشر : إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أفصح من نطق بالضاد وهو — فى فصاحته المنقطعة النظير — غير محتاج إلى استعمال الرموز والألغاز فى أحاديثه بل لا يليق به استعمالها لأنه مبلغ عن الله ومبين لمراده ونحن لا ننكر أن فى اللغة والقرآن والسنة كنايات واستعارات تمثيلية ومجازات عقلية وغيرها لكن لها حد تقف عنده ودلائل تدل عليها وقرائن ترشد إليها فإذا خرجت عن حدها المقرر لها فى كلام العرب صارت ألغازاً وأحاجى تورث الكلام قبحا واختلالا لا حسنا ورونقا وأين الدليل فى أحاديث نزول عيسى على أنه أريد بها غير معناها الصريح؟ الرابع عشر : أنه لو صح هذا التأويل لصح تأويل بقية الاشراط بل سائر السمعيات، لأنها متماثلة فما جاز فى بعضها جاز فى الجميع، والتفريق تحكم

وحينئذ لا يكفر من أول الملائكة والجن والحشر والنشر والجنة والنار بغير معانيها المعروفة كما فعل الفلاسفة وكذا لا يكفر البهائية والقاديانية المحرفون للنصوص باسم التأويل ولا شك أن كفر هؤلاء معلوم قطعا لا يتردد فيه مسلم . والعجب أن صاحب المنار علق على هذيان شيخه بأن ظواهر الأحاديث تخالفه ثم نكص على عقبيه فقال إلا أن يقال إنها مروية بالمعنى وإن كل راو روى بحسب ما فهم ولو أنصف وترك المداهنة قليلا ليقال إن صرائح الأحاديث تخالفه لأن الأحاديث في هذا الباب صريحة لا تقبل التأويل أما احتمال الرواية بالمعنى فهو لعمر الله أخفى من السهى بل لا يخطر على بال الشيطان الرجيم وهل يخطر على باله أن أحدا وثلاثين صحابيا فيهم ستة من حفاظهم المشهورين وهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وجابر وعائشة وأبو سعيد الخدري وفيهم عبد الله بن عمرو الذي كان يكتب كل ما سمعه من النبي ﷺ في جده ومزاحه ، وفيهم عبد الله بن مسعود الذي كان إذا روى حديثا شك في حفظه اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه ثم قال : أو مثله أو نحوه أو شبيه به — كلهم يتواطأون على رواية الحديث بالمعنى من غير أن يبينوا ذلك ؟ فأين حفظ حفاظهم ؟ وأين كتابة من كان يكتب منهم ! وأين حرصهم على تأدية اللفظ الذي سمعوه رجاء حصول النضرة وجزيل الثواب ؟ ثم لا يخفى أن نزول عيسى وما يحيط به من الأحداث أمر غيبي يتوقف على موقف ولا يدرك باستنباط ولا تتأتى روايته بالمعنى حسب فهم الراوي لأنه لا يمكنه أن يدرك باستنباطه أن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ويقتل الدجال بباب لد ويقاتل الناس على الإســـلام ولا يقبل الجزية إلى آخر ما ذكر من أوصافه والأحداث الواقعة عند نزوله وبعده فلولا

أنهم سمعوها بصريح العبارة ما أدركوها بمجرد الإشارة إلا أن يقال أخذوا بعضها عن الإسرائيليات وضموه إلى ما سمعوه من الرسول لكن هذا القول لا يجوز ولا يصح لأنه ينطوى على اتهام الصحابة بعدم العدالة أو بالغفلة والاختلاط وذلك باطل لأن الله عدلهم ورسوله فهم مبرأون من كل مايشين رضى الله عنهم . ثم ما الذى دعاهم إلى رواية هذا الحديث بالمعنى ؟ أعجزوا عن حفظ ألفاظه ؟ مع أنهم حفظوا القرآن وآلاف الاحاديث أم تركوا فهم المراد إلى ذكاء السامع ؟ لكن هذا أمر غيبى تمنى بحث أم أرادوا تضليلنا عن مراد الرسول؟ وهذا لا يليق بعامى فضلا عمن أثنى عليهم الله ورسوله ! أم جهلوا مراد الرسول وأدركه المصلح العظيم؟! أم ماذا ؟!!! ثم إن رواية الحديث بالمعنى على القول بجوازها لا تدخل فى جميع الأحاديث بل بعضها وهذا مما لا يتأتى فيه كما مر آنفا . والحاصل أن التلميذ لم يرشد فى إصلاح موقف شيخه بل زاده تورطا وتوريطا فهو على رأى المثل « جا يكحلها عماها » . وأعجب مما قاله صاحب المنار ما فعله الشيخ عبدالوهاب النجار فإنه عرض فى كتابه قصص الأنبياء لمسئلة رفع عيسى ونزوله وقال إن الأخبار الواردة فى هذا بعضها مرفوع إلى رسول الله ، وبعضها آراء للمفسرين ، وبعضها عن مسلمة اليهود ككعب ووهب ، ومهما كان من شأنها وصراحة عبارتها ! فهى أحاديث وآراء آحاد ولا تبلغ أن تكون لها قوة صريح القرآن ولا يمكن أن تكون فى النفس اعتقادا يقينيا جازما تطوع به النفس لصاحبها أن يشهد على الله أنه نقل المسيح حيا إلى السموات ويشهد على الله مطمئنا بتلك الشهادة أنه سوف ينزل عيسى من السماء إلى الأرض وأنه سوف يتولى قتل رجل ينبز بالمسيح الدجال سيخلقه الله

تعالى ولا يدرى متى يكون زمانه ، إذ كل تلك الأخبار لا يمكن أن تنهض بإنشاء عقيدة إذا خالفها إنسان وحاد عن الاعتقاد بها برىء من الإسلام وبرىء الإسلام منه ا هـ ثم أحال من أرادها على مراجعة كتب الحديث والتفسير وهذا الكلام رغم ما فيه جهل ومخالفة للحقيقة يدل على أن صاحبه ورع شديد الاحتياط وهي ظاهرة طيبة سبق له مثلها حيث ذكر فى قصصه أيضا ص ٢٠٣ - ٢٠٤ طبعة ثانية أنه راود نفسه على أن تقول إن شعيبا هو صهر موسى عليهما الصلاة والسلام فتمثل له المعرى يقول

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى إنى أخاف عليكمو أن تلتقوا

وخشى أن يلقاه شعيب عليه السلام فى عرصات القيامة فيلببه إلى الله عز وجل ويقول: أى رب سل عبدك هذا لم جعلنى صاحب موسى الذى استأجره ولم أكن صاحبه ولا وجدت فى زمنه الخ كلامه . وهذا ورع كبير جداً!! يذكرنا بورع الأئمة الكبار أمثال الإمام أحمد رضى الله عنه ! لكن ما بال هذا التورع تحول إلى تجرؤ فى البدعة غريب فقد نقل عن الأستاذ الإمام كلامه الذى أبطلناه آنفا مؤيدا به رأيه لكنه عقب على قوله : إن الدجال رمز الخرافات والدجل والقبائح الخ بما نصه أقول إنى كنت ممن يطمئنون إلى هذا التأويل ولكنى الآن أميل كل الميل إلى أن المسيح الدجال إنما هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه المسيح أى الملك الذى وعدوا به وهم ينتظرونه إلى اليوم ذلك أنى نظرت إلى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحا يعيد إليهم الملك والسلطان فى الأرض ويعتزون به، إلى أن قال وهذا رأيى وما أميل إليه فى مسألة المسيح الدجال ، وقد حذر المسيح أصحابه منه فقال سيقوم بعدى أنبياء كذبة ومسحاء

كذبة اهـ وهذا شيء عجيب جداً!!! يعمد حضرة المتورع إلى مسألة رفع عيسى ونزوله فينكرها لأن الأحاديث فيها آحاد لم تبلغ قوة صريح القرآن ويميل كل الميل إلى إثبات الدجال، لا لأن الأحاديث أخبرت به بل لأن اليهود ينتظرونه والمسيح حذر أصحابه منه فانتظار اليهود فى اصطلاح هذا المتورع أقوى فى إفادة الطمأنينة وطواعية النفس بالشيء من خبر الآحاد الذى يرويه عدول مسلمون مسلسلا إلى رسول الله ﷺ أرأيت كيف يكون العلم والورع والتحرى؟!!! وما هذه بأول طاماته بل له فى قصصه كثير مثلها قبيح ضررها عظيم خطرها، فليعذرنا القارىء الكريم إذا قلنا إن هؤلاء المبتدعة لهم نية مبيتة ضد السنة النبوية ينفثونها بين حين وآخر فى أساليب وقوانين تغرى وتغر. وليعذرنا أيضا إذا رآنا نتحامل عليهم ونشتد فى رد زيغهم فإننا ما فعلنا إلا بعض ما يوجبه الشرع إزاء كل مبتدع زائغ والله ولى التوفيق.

تنبيه: إذا راجعت كلام الأستاذ الإمام او تلميذه البار والشيخ عبدالوهاب النجار وجدت فتوى المبتدع الذى نرد عليه واستدلاله وتأويلاته منقولة من كلام هؤلاء نقل مسطرة -حتى إن الورع الذى ذكروه فى كلامهم ذكره هو أيضا وهذا هو ما يسمى عند المتعلمين بالتقليد الأعمى! نسأل الله العافية.

فصل ثم تكلم المبتدع على الإجماع كلام من لم يعرف علم أصول الفقه ولا قرأ كتابا من كتبه، وأكثر جهله آت من قلة اطلاعه وضيق باعه فحاول أن يشكك فى الإجماع من حيث إمكانه ووقوعه وكيفية نقله وحجيته وهذه تشكيكات

ابتدعها النظام وبعض الإمامية والخوارج وتولى الرد عليها وإبطالها أئمة أهل السنة كالقاضى الباقلانى وإمام الحرمين والغزالى وغيرهم ممن يطول عدهم ويتعسر تتبع كلامهم لكن لا بأس أن ننقل عبارة إمام الحرمين لعظم فائدتها قال فى البرهان ما نصه ذهب طوائف من الناس إلى أن الإجماع لا يتصور وقوعه واشتد كلام القاضى رضى الله عنه ونكيره على هؤلاء وتعدى حد الإنصاف قليلا، ونحن نسلك مسلكا فى استيعاب ما لكل فريق حتى إذا لاحت نهاية النفى والإثبات وضح منها درك الحق إن شاء الله تعالى فأما الذين منعوا تصور الإجماع فإنهم قالوا قد اتسعت خطة الإسلام ورقعتها وعلماء الشريعة متباعدون فى الأمصار ومعظم البلاد المتباينة لا تتواصل الأخبار فيها وإنما يتدرج المتدرج من طرف إلى طرف بسفرات وتربصات ولا يتفق انتهاض رفقة واحدة ومدتها مدة واحدة من المشرق إلى المغرب فكيف يتصور والحالة هذه رفع مسألة إلى جميع علماء العالم ثم كيف يفرض اتفاق آرائهم فيها مع تفاوت الفطن والقرائح وتباين المذاهب والمطالب وأخذ كل جيل صوبا فى أساليب الظنون ، فتصوير اجتماعهم فى الحكم المظنون بمثابة تصوير اجتماع العالمين فى صبيحة يوم على قيام أو قعود أو أكل أو قول ومثل ذلك غير ممكن فى اطراد العادة نعم إن انخرقت لنبى أو ولى على رأى من يثبت الكرامات وبالجملة لا يتصور الاجتماع مع اطراد العادة هذا قول هؤلاء ثم زادوا إبهاما آخر فقالوا فرض الإجماع كيف يتصور النقل عنهم على التواتر والحكم فى المسألة الواحدة ليس مما تتوفر الدواعى على نقله فقد أسندوا كلامهم إلى ثلاث جهات مترتبة فى العسر أولها تعذر عرض مسألة واحدة على الكافة والأخرى عسر اتفاقهم والحكم مظنون والثالثة تعذر النقل

تواتراً عنهم واختتموا هذا بأن قالوا لو ذهب ذاهب من العلماء إلى مذهب فما الذى يؤمن من بقائه عليه وإصراره على مذهبه إلى أن يطبق النقل طبق الأرض فهذه عيون كلام هؤلاء قال القاضى رحمه الله معترضا عليهم متبعا مسالكهم : نحن نرى إطباق جيل من الكفار يربو عددهم على عدد المسلمين وهم متفقون على ضلالة يدرك بأدنى فكر بطلانها فإذا لم يمتنع ذلك لم يمتنع إجماع أهل الدين على الإحاطة بذلك منهم وإن أردنا فرض ذلك فى الفروع فنحن نعلم إجماع علماء أصحاب الشافعى رضى الله عنه على مذهبه فى المسائل مع تباعد الديار وتنائى المزار وانقطاع الأسفار فبطل مازخرفه هؤلاء . ثم قال القاضى: لا يمتنع تصور ملك تنفذ عزائمه فى أهل خطة الإسلام إما باحتوائه على البيضة أو بعلو قدره واستمكانه من إحضار سائر المماليك بجوازم أمره المنفذة إلى ملوك الأطراف وإذا كان ذلك ممكنا فلا يمتنع أن يجمع مثل هذا الملك العظيم علماء العالم فى مجلس واحد ثم يلقى عليهم ما عن له من المسائل ويقف على وفاقهم وخلافهم . فهذا وجه فى الصورتين لا يتوقف تصوره على فرض خرق العادة فهذا منتهى كلامه رحمه الله . ونحن نفصل الآن القول فى ذلك قائلين لا يمتنع الإجماع عند ظهور دواع مستحثة عليه داعية إليه ومن هذا القبيل كل أمر كلى يتعلق بقواعد العقائد فى الملل فإن على القلوب روابط فى أمثالها حتى كأن نواصى العقلاء تحت ربقة الأمور العظيمة الدينية ، ومن هذا القبيل ما استشهد به القاضى رحمه الله من إجماع جميع الكفار على أديانهم ومنه اجتماع اتباع الإمام على مذهبه فإن كل من رأسه الزمان تصرف إليه قلوب الأتباع وبذلك يتصل النظام وهو متبين فى الخفى والجلى ، وماصوره القاضى رحمه الله من إحضار جميع العلماء ليس منكرا فقد تكون أطراف

المماليك في حق الملك العظيم كأنها بمرأى منه ومسمع فلا يبعد ما قاله على ما صوره ، وأما فرض اجتماع على حكم مظنون في مسألة فردة ليست من كليات الدين مع تفرق العلماء واستقرارهم في أماكنهم وانتفاء داعية تقتضي اجتماعهم فهذا لا يتصور مع اطراد العادة فإذاً من أطلق التصور وعدم التصور فهو زال والكلام المفصل إذا أطلق نفيه أو اثباته كان خلفا ومن ظن أن تصور الإجماع وقوعا في زماننا هذا في آحاد المسائل المظنونة مع انتفاء الدواعي الجامعة هين فليس على بصيرة من أمره. نعم معظم مسائل الإجماع جرت من صحب رسول الله ﷺ الأكرمين وهم مجتمعون أو متقاربون فهذا منتهى الغرض في تصوير الإجماع اهـ وقد بسط هو وغيره الكلام على حجية الإجماع وأتوا بما يطول نقله فلينظر في محاله إلا أن إمام الحرمين ذكر حديث «لا تجتمع أمتي على ضلالة» من جملة أدلة حجية الإجماع وقال إنه حديث آحاد ، والصواب أنه متواتر معنوي ، إذ قد ورد معناه ﷺ من حديث عمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة وأنس وأبي مالك الأشعري وأبي بصرة الغفاري وحذيفة وأبي ذر ومعاذ وعرفجة وابن مسعود وأبي سعيد ومعاوية ورجل من الصحابة وأسامة بن شريك والحرث الأشعري وسمرة بن جندب وأبي قرصافة ، وعن أبي مسعود موقوفا وله حكم الرفع . ورواه عن عمر سعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن الزبير وغير واحد من الصحابة والتابعين ممن حضروا خطبته بالجابية ورواه عن أبي هريرة عبد الله بن السائب وعبيد الله التيمي وغيرهما ، وهكذا رواه عن كل صحابي واحد أو أكثر وهلم وقد استوفيت طرقه وألفاظه في كتابي «الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج» والمقصود أن أحداً لم ينف الإجماع غير النظام وقد ذكر القاضي عياض في أواخر الشفا أن العلماء اختلفوا في إكفاره بسبب ذلك . أما قول الإمام أحمد من ادعى الإجماع فهو

كاذب فلم يقصد به نفى الإجماع ومعاذ الله أن يقصد ذلك. كيف وهو قد حكى الإجماع فى عدة مسائل ذكر بعضها ابن القيم فى مواضع من اعلام الموقعين وروى البيهقى عنه قال أجمع الناس على أن هذه الآية فى الصلاة يعنى (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له) الآية(١) وليس من المعقول أن يناقض نفسه. فلا جرم أن قال أصحابه إنما قال ماسبق فى حق من ليس له معرفة بخلاف السلف وقال ابن تيمية والأصفهانى أراد غير إجماع الصحابة أما إجماعهم فحجة معلوم تصوره لكون المجمعين ثمة فى قلة والآن فى كثرة وانتشار وقال ابن رجب إنما قاله إنكاراً على فقهاء المعتزلة الذين يدعون إجماع الناس على ما يقولونه وكانوا من أقل الناس معرفة بأقوال الصحابة والتابعين قال وأحمد لا يكاد يوجد فى كلامه احتجاج بإجماع بعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة اهـ وقيل بل قاله على جهة الورع لجواز أن يكون هناك خلاف لم يبلغ الناقل وقال الكمال ابن الهمام كلامه محمول على استبعاد انفراد اطلاع ناقل الإجماع عليه قال ابن أمير الحاج إذ لو لم يكن كاذبا لنقله غيره أيضا كما يشهد به لفظه فى رواية ابنه عبدالله وهو من ادعى الإجماع فقد كذب لعل الناس قد اختلفوا ولكن يقول لا نعلم الناس اختلفوا إذا لم يبلغه اهـ فلا متمسك للمبتدع فى كلام الإمام أحمد رضى الله عنه كما لا متمسك له فى كلام ابن حزم فى مراتب فى الإجماع والقاضى عياض فى شرح مسلم مما يفيد وجود خلاف فى نزول عيسى عليه السلام لأنه خلاف مبهم مجهول لم يعرف صاحبه حتى تعرف منزلته العلمية

---

(١) وكذا نقل عنه ابن تيمية فى فتاويه ص١٤٣ ج٢ وص٤١٢ ج٢ وفى المغنى لابن قدامة قال أحمد فى رواية أبى داود: وأجمع الناس على أن هذه الآية فى الصلاة.

والدينية وما كان من هذا القبيل فلا عبرة به ، على أن القاضي عياضا حكاه عن بعض المعتزلة والجهمية وهؤلاء معروفون بمخالفة السنة لأنهم من أجهل الناس بالحديث وأقوال الصحابة والتابعين وكلامهم في العقائد ينادي بجهلهم الفاضح فليتهم سكتوا عما لم يحسنوه ، ولهذا قال ابن رشيد إن الخلاف الذي حكاه ابن حزم لا يصح وقد نقلناه فيما سبق فالمبتدع إن أراد أن يبطل الإجماع الذي نقلناه عن الأشعري وابن عطية وابن رشد وغيرهم فطريقة إبطاله أن يثبت بإسناد صحيح يطمئن إلى صحته القلب أن الصحابي الفلاني أو التابعي الفلاني أو مالكا أو أبا حنيفة مثلا صرح بأنكار نزول عيسى عليه السلام تصريحا لا يتطرق إليه شيء من الاحتمالات العشر حتى لا يكون عرضة للتأويل وبدون هذا لا يبطل الإجماع مع أن المبتدع لا يستطيع أن يثبت ذلك إلى أن ينزل عيسى عليه السلام لأنه لا يجد صحابيا ولا تابعيا ولا إماما سبقه إلى بدعته والحمد لله . أما ايراده كلام الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد والشيخ المراغي دليلا على وجود الخلاف في المسألة فمغالطة باردة مكشوفة لأن من له أدنى مساس بعلم الأصول يعلم أن المعتبر في الإجماع كلام المجتهدين الذين تقوم بهم الحجة وهم ورثة الأنبياء كما ورد في الحديث أما العوام فلا عبرة بخلافهم ولا وفاقهم وان كانوا يحملون ورقة تسمى شهادة العالمية ، بل يكون الإجماع حجة عليهم يعصون بمخالفته كما هو مقرر في محله وكلام الشيخ رشد في الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار ليس خارقا للإجماع فحسب بل فيه مساس بالرسول عليه الصلاة والسلام . هذا وأرى لزاما على بعد أن أوضحت تواتر نزول عيسى عليه السلام وبينت بطلان ما هذى به المبتدع ورؤساؤه وقرناؤه أن أذكر جملة من الأحاديث الصحيحة الصريحة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والله ولي التوفيق

(الحديث الأول)

عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصلب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحـــدة خيرا من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه وابن أبى شيبة وابن مردويه وغيرهم

(الحديث الثانى)

عن نافع مولى أبى قتادة الأنصارى أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا أنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » رواه عبد الرازق وأحمد والشيخان . وفى رواية لمسلم « كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم » قال ابن أبى ذئب رواية : يعنى فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ .

(الحديث الثالث)

عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير

وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد ، رواه أحمد ومسلم وابن حبان في صحيحه .

(الحديث الرابع)

عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو أو يجمعهما ، قال وتلا أبو هريرة (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية قال فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال يؤمن به قبل موت عيسى رواه أحمد وابن أبي حاتم بإسناد على شرط الصحيح وروى مسلم وابن حبان منه قصة الحج ولفظهما « ليلهن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعا ، وهي رواية للإمام أحمد أيضا

(الحديث الخامس)

عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل إلا الإسلام ويهلك في زمانه المسيح الدجال

ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه) رواه أحمد وأبو داود وابن جرير وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه وسلمه الذهبى وصححه أيضا الحافظ ابن حجر .

(الحديث السادس)

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لا ينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها فأول من يتبعه النساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق فعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط قال الحافظ الهيثمى رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن مكرم الضبى وهو ثقة .

(الحديث السابع)

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ليهبطن ابن مريم حكما عادلا وإماما مقسطا وليسلكن فجا — يعنى فج الروحاء — حاجا أو معتمرا أو ليأتين قبرى حتى يسلم على ولأردن عليه) يقول أبو هريرة أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام رواه الحاكم وصححه وسلمه الذهبى

(الحديث الثامن)

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى بن مريم ﷺ فإن عجل بى موت فمن لقيه منكم فليقرئه منى السلام) رواه أحمد . وقال الحافظ الهيثمى رجال اسناده رجال الصحيح

(الحديث التاسع)

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (يوشك المسيح عيسى بن مريم أن ينزل حكما مقسطا وإماما عادلا فيقتل الخنزير ويكسر الصلب وتكون الدعوة واحدة فاقرأوه أو أقرئوه السلام من رسول الله) وأحدثه فيصدقنى . فلما حضرته الوفاة قال أقرئوه منه — يعنى رسول الله — السلام رواه أحمد وإسناده حسن .

(الحديث العاشر)

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ألا إن عيسى بن مريم ليس بينى وبينه نبى ولا رسول ألا إنه خليفتى فى أمتى من بعدى ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها ألا من أدركه منكم فيلقرأ عليه السلام) رواه الطبرانى فى الصغير والخطيب فى التاريخ باسناد حسن أيضا .

(الحديث الحادى عشر)

عن سعيد بن ميناء عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (طوبى لعيش بعد المسيح — يعنى بعد نزوله — يؤذن السماء فى القطر ويؤذن للأرض فى النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا(١) لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض) رواه الحافظ أبو سعيد محمد بن على النقاش فى جزء له فى فوائد العراقيين ورجال إسناده ثقات وبعضهم من رجال الشيخين .

(الحديث الثانى عشر)

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (ينزل عيسى ابن مريم فيمكث فى الناس أربعين سنة) رواه الطبرانى فى الأوسط وقال الحافظ الهيثمى رجاله ثقات . وذكره الحافظ ابن كثير فى تاريخه من طريق هشام بن عروة عن صالح مولى أبى هريرة عنه عن النبى ﷺ .

(الحديث الثالث عشر)

عن أبى هريرة يرويه قال (لا تزال عصابة من أمتى على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون من خالفهم حتى ينزل عيسى بن مريم) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق وهو حديث صحيح بل متواتر صرح بتواتره أبو العباس ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم وتتبع طرقه شقيقنا الحافظ السيد أحمد فى رسالة سماها (الأجوبة الصارفة عن إشكال حديث الطائفة) .

(١) الصفا صخرة ملساء لا تنبت شيئا .

(الحديث الرابع عشر)

عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ) وذكر الحديث إلى إن قال (فأذا جاءوا الشام خرج — يعني الدجال — فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم — أي يقصدهم — فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته) رواه مسلم في صحيحه .

(الحديث الخامس عشر)

عن مطير الهلالي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول (لم يسلط على قتل الدجال الا عيسى بن مريم) رواه أبو داود الطيالسي وهو حديث صحيح

(الحديث السادس عشر)

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلا فليكسرن الصليب ويقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرض المال فلا يقبله أحد ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجبته) رواه أبو يعلى وقال الحافظ الهيثمي رجال الصحيح

(الحديث السابع عشر)

عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى . ويكنى أبا سريحة - بفتح السين المهملة - قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال (ماتذاكرون) ؟ قلنا نتذاكر الساعة قال (انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

(الحديث الثامن عشر)

عن جبير بن نفير الحضرمى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى يقول ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال (غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طائفة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) وذكر الحديث إلى أن قال (فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة

ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد نفس ريحة الامات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، وذكر بقية الحديث رواه أحمد ومسلم والأربعة .

(الحديث التاسع عشر)

عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى قال سمعت عبد الله بن عمرو قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين — لا أدرى أربعين يومــا أو أربعين شهرا أو أربعين عاماً — فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه فيمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته » الحديث رواه مسلم فى صحيحه والنسائى فى التفسير والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

(الحديث الموفى عشرين)

عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أمــيرهم تعال صل لنا فيقول لا أن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » رواه مسلم وابن حبان فى صحيحهما وله طرق عند أبى يعلى وأبى نعيم فى أخبار

المهدى وأبى عمرو الدانى فى سننه ووقع فى رواية الأخيرين التصريح بأن أمير الطائفة هو المهدى، وحديث المهدى متواتر أيضا كما صرح به غير واحد

(الحديث الحادى والعشرون)

عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يخرج الدجال فى خفقة من الدين وادبار من العلم وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض ، اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر إيامه كأيامكم هذه . له حمار يركبه، وذكر الحديث فى صفة الدجال إلى أن قال، فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادى من السحر فيقول يأيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جنى فينطلقون فإذاهم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم ياروح الله فيقول ليتقدم أمامكم فيصلى بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرج إليه قال فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء فيمشى إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادى هذا يهودى فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله، رواه أحمد باسنادين وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال الحافظ الهيثمى رجال أحد إسنادى أحمد رجال الصحيح.

(الحديث الثانى والعشرون)

عن جابر أيضا قال : إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عنيه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون هو الدجال وذكر حديث ابن صياد وتردد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى

شانه وفى آخره فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ائذن لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم وإن يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد» رواه الإمام أحمد وقال الحافظ الهيثمى رجال إسناده رجال الصحيح

(الحديث الثالث والعشرون)

عن عبد الله بن يزيد عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لدأ وإلى جانب لد » رواه عبد الرزاق وأحمد والترمذى وقال: هذا حديث صحيح، قال : وفى الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عتبة وأبى برزة وحذيفة بن أسيد وأبى هريرة وكيسان وعثمان بن أبى العاص وجابر وأبى أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة ابن اليمان رضى الله عنهم اهـ كلامه . قال الحافظ ابن كثير : ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام له ، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جداً وهى أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة رواتها فى الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك اهـ .

(الحديث الرابع والعشرون)

عن أبى نضرة قال أتينا عثمان بن أبى العاص فى يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ثم أتينا بطيب فتطيبنا ثم جئنا المسجد فجلسنا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم يقول « يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال فى أعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يردون المصر الذى بملتقى البحرين، وذكر حصار الدجال للمسلمين وما يصيبهم من جهد ومجاعة إلى أن قال « فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر يا أيها الناس أتاكم الغوث — ثلاثا — فيقول بعضهم لبعض إن هذا لصوت رجل شبعان وينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم ياروح الله تقدم فصل فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض فيتقدم أميرهم فيصلى فإذا صلى به أخذ عيسى عليه السلام حربته فيذهب نحو الدجال فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثندوته فيقتله وينهزم أصحابه فليس شىء يومئذ يوارى منهم أحداً حتى إن الشجرة لتقول يامؤمن هذا كافر » رواه أحمد والطبرانى بإسناد حسن .

(الحديث الخامس والعشرون)

عن عمرو بن عبد الله الحضرمى قال حدثنى واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاتقوم الساعة حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فى جزيرة العرب والدجال ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الناس تسوق الذر والنمل » رواه الطبرانى والحاكم وصححه وسلمه الذهبى .

(الحديث السادس والعشرون)

عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى ابراهيم فقال لاعلم لى بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لاعلم بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربى أن الدجال خارج ومعى قضيبان فاذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآنى) وفى رواية (ومعى قضيبان فأهبط فاقتله — حتى أن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتى كافراً فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم) الحديث رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه وسلمه الذهبى .

(الحديث السابع والعشرون)

عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (أنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران أحدهما نار تأجج فى عين من رآه والآخر ماء أبيض فان أدركه منكم أحد فيغمض عينه وليشرب من الذى يراه ناراً فانه ماء بارد وإياكم والآخر فانه الفتنة واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من يكتب ومن لا يكتب وإن إحدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة) وذكر الحديث فى حضارة للمسلمين إلى أن قال (فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم صلوات الله عليه أمامهم فصلى بهم — أى معهم — فلما انصرف قال هكذا افرجوا بينى وبين عدو الله) وذكر الحديث رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وسلمه الذهبى .

(الحديث الثامن والعشرون)

عن حذيفة أيضا قال إن أصحاب النبي ﷺ كانوا يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن أدركه وإني بينما أنا مع رسول الله ﷺ ذات يوم قلت يا رسول الله أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله هل بعده من شر ؟ كما كان قبله شر قال (نعم) قلت فما العصمة منه ؟ قال (السيف) قلت وهل للسيف من بقية ؟ قال (هدنة على دخن) ؟ قلت يا رسول الله ما بعد الهدنة ؟ قال (دعاة للضلالة فان لقيت لله يومئذ خليفة في الأرض فالزمه وإن أخذ مالك وضرب ظهرك وإلا — وفي رواية فان لم يكن خليفة — فاهرب في الأرض حد هربك — أي منتهى هربك — حتى يدركك الموت وأنت عاض على أصل شجرة) قلت يا رسول الله فما بعد دعاة الضلالة ؟ قال (خروج الدجال) قلت يا رسول الله وما يجيء به الدجال قال (يجيء بنار ونهر فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره) قلت يا رسول الله فما بعد الدجال ؟ قال (عيسى بن مريم) قلت فما بعد عيسى بن مريم ؟ قال (لو أن رجلا نتج فرسا لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة) رواه ابن أبي شيبة وابن عساكر وهو حديث صحيح

(الحديث التاسع والعشرون)

عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال وقد قلت فيه قولا لم يقله أحد قبلي إنه آدم جعد ممسوخ عين اليسار على عينه ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويقول أنا

ربكم فمن قال ربى الله فلا فتنة عليه — يعنى فى دينه — ومن قال أنت ربى فقد افتتن — يعنى كفر — يلبث فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد على ملته إماما مهديا وحكما عدلا فيقتل الدجال ، فكان الحسن — يعنى البصرى — يقول ونروى أن ذلك عند الساعة رواه الطبرانى والبيهقى فى البعث وسنده جيد كما قال الحافظ السيوطى .

(الحديث الموفى ثلاثين)

عن أبى صالح عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أبكى فقال ما يبكيك قلت يارسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أن يخرج وأنا فيكم كفيتموه وأن يخرج بعدى فإن ربكم عز وجل ليس بأعور إنه يخرج من يهودية أصبهان حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتى الشام مدينة فلسطين بباب لد قال أبو داود مرة حتى يأتى مدينة فلسطين فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ويمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا » رواه الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه ، وقال الحافظ الهيثمى رجاله الصحيح .

(الحديث الحادى والثلاثون)

عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال عليها ظفرة غليظة وإنه يبرىء

الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويقول للناس أنا ربكم فمن قال أنت ربي فقد فتن ومن قال ربي الله حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنة الدجال ولا فتنة عليه فيلبث في الأرض ما شاء الله — أربعين يوما كما في الأحاديث الأخرى — ثم يخرج عيسى بن مريم قبل المغرب — أي جهة المغرب وهي الشام — مصدقا بمحمد فيقتل الدجال وإنما هو قيام الساعة) رواه أحمد والطبراني وقال الحافظ الهيثمي رجال الحديث رجال الصحيح

(الحديث الثاني والثلاثون)

عن سمرة أيضا قال خطب النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وشهد أنه عبد الله ورسوله ثم قال (أيها الناس أنشدكم بالله إن كنتم تعلمون أني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني ذلك) قال فقام رجال فقالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك ثم قال (أما بعد فإن رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض وإنهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله يختبر بها عباده فينظر من يحدث له منهم توبة وأيم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي — يعني صلاة الكسوف — ما أنتم لاقوه في أمر دنياكم وآخرتكم وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال وإنه متى يخرج فسوف يزعم أنه الله تعالى فمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه عمل صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله سلف وإنه سوف يظهر على الأرض كلها إلا الحرام وبيت المقدس وإنه يسوق الناس إلى بيت المقدس فيحصرون حصرا شديدا

قال فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيقتله وجنوده حتى إن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادي يامسلم هذا كافر تعال فاقتله ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها فى أنفسكم فتتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها شيئا وحتى تزول جبال عن مراتبها ثم على أثر ذلك الموت » رواه أحمد وسعيد ابن منصور وابن خزيمة وابن جرير والطحاوى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وقال الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين وسلمه الذهبى .

(الحديث الثالث والثلاثون)

عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرأه منى السلام) رواه الحاكم وهو حديث حسن .

(الحديث الرابع والثلاثون)

عن أنس أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة وأشفع وسيدرك رجال من أمتى عيسى ابن مريم ويشهدون قتال الدجال رواه الطبرانى وهذا لفظه وأبو يعلى والحاكم بإسناد بمجموعهما حسن

(الحديث الخامس والثلاثون)

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لا تزال طائفه من أمتى تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند

طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدى فيقال تقدم يا نبى الله فصل فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض) رواه أبو عمرو الدانى فى سننه وهو حديث صحيح .

(الحديث السادس والثلاثون)

عن عبد الأعلى بن عدى البهرانى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عنه قال (عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم) رواه أحمد والنسائى والطبرانى والضياء المقدسى فى المختارة وقال المناوى فى شرح الجامع الصغير إسناده حسن .

(الحديث السابع والثلاثون)

عن عبد الرحمن بن أيوب بن نافع بن كيسان عن أبيه عن جده نافع صاحب النبى ﷺ يرفعه (ينزل عيسى بن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات من النهار فى ثوبين ممشقين كأنما ينحدر عن رأسه اللؤلؤ) رواه ابن عائذ وتمام فى فوائده وابن شاهين فى الصحابة عساكر فى التاريخ وهو حسن لغيره .

(الحديث الثامن والثلاثون)

عن نافع بن كيسان بن عبد الله بن طارق عن أبيه سمعت النبى صلى الله

عليه وآله وسلم يقول « ينزل عيسى بن مريم عند «المنارة البيضاء شرقى دمشق» رواه البخارى فى التاريخ والطبرانى وابن السكن وابن منده وتمام فى فوائده والربعى فى فضائل الشام ، ورجال الحديث ثقات كما قال الحافظ ابن حجر .

(الحديث التاسع والثلاثون)

على أبى يحيى مولى ابن عفراء عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى « وأنه لعلم للساعة » قال « نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة » رواه ابن حبان فى صحيحه .

(الحديث المو فى أربعين)

روى محمد بن شعيب بن شابور عن يزيد بن عبيدة — بفتح العين — ابن أبى المهاجر السكونى الدمشقى عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس ابن أوس الثقفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ينزل المسيح عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقى دمشق)، رواه ابن أبى حاتم ، ورجال إسناده ثقات. فهذه أربعون حديثا إذا ضمت إلى ماسبق أول الكتاب من الأحاديث المرفوعة والآثار التى لهـا حكم الرفع بلغ مجموعها نحو خمسين حديثا كلها لابين صحيح وحسن، ومن هنا يعلم أن ماقلناه فى (إقامة البرهان) من أن الأحاديث الضعيفة مجبورة بالأحاديث الصحيحة صحيح لا غبار عليه ، وأن ماقلناه هناك من أن للتواتر لا تشترط فى رواته العدالة موافق لما قرره الاصوليون والمحدثون، ولذا قال الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة إن المتواتر ليس من مباحث علم الاسناد قال : إذ علم الاسناد يبحث فيه

عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك من حيث صفات الرجال وصيغ الأداء ، والمتواتر لا يبحث عن رجاله بل يجب العمل به من غير بحث اﻫ وقال الشوكاني في إرشاد الفحول بعد إذ عرف المتواتر وذكر شروطه ما نصه : وقد اشترط عدالة النقلة لخبر التواتر فلا يصح أن يكونوا أو بعضهم غير عدول وعلى هذا لا بد ألا يكونوا كفاراً ولا فساقا ولا وجه لهذا الاشتراط فإن حصول العلم الضروري بالخبر المتواتر لا يتوقف على ذلك بل يحصل بخبر الكفار والفساق والصغار المميزين والأحرار والعبيد وذلك هو المعتبر اﻫ بل سبق عن ابن الهمام أن خبر الواحد المحتف بالقرائن يفيد العلم ولو كان راويه غير عدل ، فبطل ما زعمه المبتدع أننا خلعنا على الأحاديث الضعيفة ثوبا مهلهلا من القداسة لا رغبة في العلم ولكن ليقول العامة وأشباه العامة عنا : إننا محدثون وحفاظ ، هذا زعمه الكاذب ودعواه الباطلة ، فنحن ما ألفنا كتابنا إقامة البرهان إلا للدفاع عن السنة النبوية التي دأب المبتدع على محاربتها وردها بوسائل شيطانية خبيثة حيث يدعي تارة أنها آحاد والآحاد يفيد الظن ، وأخرى أنها روايات مضطربة ، وطورا يجعلها من الإسرائيليات ويلصقها بكعب ووهب ظلما وعدوانا ، وحينا يزعم أن القرآن لم يشر إلى ما أتت به كأن النبي عليه السلام لا يجب اتباعه إلا في القرآن ؟ ! ! ! إلى غير هذا من الحيل والخدع فليس إنكار نزول عيسى عليه السلام مقصوداً لذاته عند هذا المبتدع ولكنه حلقة من حلقات خطة دبرها لهدم السنة ونقضها من أساسها ، وآية ذلك أنه لا ينزع في مقالاته وغيرها إلا بالقرآن وهذا في الظاهر حسن ، لكنه لا يرجع في تفسيره إلى الحديث بل يعتمد على رأيه ورأى رؤسائه وقد يعرض له الحديث

الصحيح فى تفسير آية فيرده برأيه ولا يبالى ، وصرح لى بانكار الدجال مدعيا أن أحاديثه مضطربة متناقضة وأنكر الميزان فى محاضرة ألقاها من محطة الاذاعة وكتب فى مجلة الرسالة مقالا بعنوان (شخصيات الرسول) ذكر فيه الشخصيات الأربع التى سرقها مو القرافى(١) وزادعليها أن الرسول ليس معصوما فى فتواه وقضائه ، وأنه لا يجب اتباعه إلا فيما كان طريقه الوحى المحض كالعبادات ؛ أما ماعدا ذلك فتجوز مخالفته فيما أفتى أو قضى به إذا اقتضت المصلحة المخالفة إلى غير هذا مما أتى به فى ذلك المقال الآثم الذى أراد به أن يطعن السنة فى مصدرها وينبوعها . فلم يسعنا السكوت على هذه الاعتداءات المتكررة ، والجهالات المتوالية ، وانتدبنا للدفاع والحجاج ، وقاومنا الداء بالعلاج . ووطنا أنفسنا على سماع ماتفوه به فى حقنا من تهم وشتائم ؛ لعلمنا أن الجاهل إذا أُفحم شنع ، وأن السفيه إذا غُلب أقذع ؛ والشتم حيلة العاجز ، والحجة شيمة القوى المبارز . ألا فليعلم هذا المبتدع أننا عزمنا على موالاة دحض ترهاته . ومتابعة محو مفترياته . نرجو بذلك ثواب الله ومغفرته . ونأمل القرب من نبيه وشفاعته ، لا يردنا عن عزمنا سفاهة سفيه ، أو جهالة جاهل ، وعلى الله اعتمادنا . وبه ثقتنا ، وإليه التجاؤنا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(١) بواسطة سرقتها من شخص معاصر سرقها من القرافى فهى سرقة مكررة !!

نزول عيسى عليه السلام

(هذه فتوى فى إثبات نزول عيسى عليه السلام لشيخنا المرحوم العلامة الإمام الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية وشيخ علمائها بدون منازع ، كتبها بعد عودته من الحجاز سنة ١٣٥٠ هجرية ، جواباً عن سؤال أحد علماء ناصرية المتفق المسمى داود الراوى)

وهـــذا نصها

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

اطلعنا على هذا السؤال فيما يتعلق بحياة عيسى وعـــدم موته وفى رفعه ونزوله وقتله الدجال ونقول :

أما قول السائل هل هو حى أم ميت؟ وإذا قلت أنه حى فأين هو وبماذا تستدل فضيلتكم؟ فنقول: أنه حى لم يمت أخرج ابن جرير الطبرى فى تفسيره قال حدثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى والله إنه الآن لحى عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون . وعن ابن وكيع قال حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال عيسى ولم يمت

بعد ، وقال الحسن قال رسول الله ﷺ لليهود «ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة» فأنت ترى أن الحسن رفعه للنبي ﷺ فهو ان كان مرسلا لكنه فى حكم الموصول المسند وقد صرح الأصليون بأن مرسل الحسن مقدم على المسانيد قال فى فواتح الرحموت : ولا بعد فيه ، ويحتمل أن يكون قولهم (مقدم على المسانيد) مبالغة فى تصحيح مرسله . انتهى

ويؤيد هذا أن الحسن نفسه جزم بحياة عيسى مؤكداً هذا الجزم بالقسم حيث قال والله انه الآن لحى عند الله . وهذا الحديث وان كان خبر آحاد لكنه وقع بيانا لاجمال الواقع فى الآية لوجود الاحتمالات فى أهل الكتاب وضمير به وموته فى قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فعين هذا الحديث ان المراد بأهل الكتاب اليهود وعين ان المراد بالضمير بن عيسى عليه السلام ، والآحاد يصلح تفسيراً للمجمل ومتى وقع تفسيرا للمجمل القطعى كما هنا كان الدليل هو المجمل القطعى المبين بذلك الخبر لا الخبر الذى وقع بيانا له كما حققه فى فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت بعد مناقشة طويلة حيث قال رداً على ما استدل به المخالف : ولا يظهر لهذا وجه فان افادة الخبر الظن مما اجمع عليه ومنع المقدمة الاجتماعية لايجوز . فبعد ملاحظة هذا الاجماع لا يمكن منع افادة الخبر الظن وبعد التنزل للمستدل أن يقول الخبر مفيد للظن ما دام الخبر باقيا قطعا فارتفع المانع حين وجود الخبر قطعا فلزم القطع بالحكم فى تلك الحال قطعا وهو المطلوب فانهم لايدعون بعد ظهور عدم وجود البيان كذب الخبر فتدبر فاذن الحق فى الجواب ما أفاده والدى قدس سره منع ارتفاع المانع فان المانع من القطع الاجمال وجواز الطرف المقابل مرجوحا وهنا وان ارتفع المانع الأول لكن قام الثانى مقامه

فان الظن بالشيء يوجب تجويز الطرف المقابل ، هذا ثم لهم ان يقرروا بأن الخبر مفيد للظن بالوضع والاستعمال قطعا وهذا الظن يوجب التبادر قطعا وتبادر المراد من القطعي رافع للمانع قطعا لوجود المقتضى وبالجملة هذا الظن موجب للتبادر وهو يوجب القطع وكيف لا يوجد التبادر فانه متى علم أن الصلاة في الشرع ماهو ؟ ولو بخبر الواحد والربا ماهو ؟ يتسارع الذهن عند سماع اللفظين إلى معناهما الشرعي وانكاره مكابرة . وليس هذا إلا كما إذا اخبر الخليل والأصمعي أن لفظاً وضع في لغة العرب لهذا المعنى يتسارع الذهن عند السماع اليه البتة ، وهذا أولى منه فان هذا الظن قوي معاضد بالاجماع . وهذا هو الذي يرسم في الاستدلال المشهور بان الحكم بعد تبين الخبر مضاف إلى القطعي فيكون مقطوعاً يعني ان الحكم بعد تبين الخبر يستفاد منه لأجل التبادر فيفيد القطع لأن المراد المعنى الأعم وهو الذي لا يحتمل المقابل احتمالا ناشئاً عن دليل وبعد التبادر فاحتمال عدم الارادة كاحتمال التأويل في النص فلا اعتداد به ، هذا بخلاف ترجيح أحد معنيي المشترك بالرأي فانه لا يوجب التبادر فتأمل فيه فانه موضع تأمل . انتهى

وأقول تأملنا فوجدنا أن الأصوليين استدلوا على وجوب التعبد بخبر الواحد باحتجاج الصحابة على وجوب العمل بخبر العدل وأنه تواتر عنهم الاحتجاج والعمل بخبر الواحد وكما أجمعوا على ذلك فقد أجمعوا على إفادة خبر الواحد العدل الظن فكان خبر الآحاد مفيداً للظن بالاجماع والعمل به واجبا بالاجماع ، ولا اعتداد بالاحتمال المرجوح الذي هو في مقابلة الظن بدليل تواتر العمل به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد أطال الاصوليون في الاستدلال على وجوب العمل بخبر الواحد وعلى

تواتره بما يطول شرحه فإن أردته فعليك بمسلم الثبوت والتحرير وشرحه من كتب الأصول . وعلى كل حال فالحق أن الخلاف لفظى فمن نظر إلى أن خبر الآحاد الصحيح ظنى نظر إلى الاحتمال فى ذاته ، ومن نظر إلى أن هذا الاحتمال لا اعتداد به قال إنه قطعى فإذا فسر المجمل كان العمل بهذا التفسير واجبا بالإجماع سواء قلنا أن خبر الآحاد يفيد القطع أو الظن

وأما مقره وأين هو فنقول : إنه عند الله وفى علم الله مكانه ولا نعلم فى أى مكان مستقره ألا ترى أن الجنة والنار فى اعتقاد أهل السنة موجودتان يقيناً ولكننا لا نعلم أين هما . وأما ماورد فى قصة المعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم لقيه فى السماء الثانية فهذا لا يدل على أن السماء الثانية مكان له لأن النبى صلى الله عليه وسلم كما لقيه كذلك لقى إبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء فى السموات ومعلوم أنهم ماتوا ومن مات لا تعود له الحياة إلى يوم القيامة . ولكن الذى وقع ليلة المعراج من لقياه الأنبياء هو من باب التمثيل فإن الله تعالى شكل أرواحهم على هيأة أجسامهم كما ذكره ابن عقيل وكذا ذكره ابن التين وقال وإنما تعود الأرواح إلى الأجسام يوم البعث كما قدمنا إلا عيسى عليه السلام فإنه حى لم يمت . وينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار ليلة الأسراء فى السماء ومن المعلوم أنه لم يعلم بطريق قطعى مكانهما . وقولهم أن الأنبياء أحياء فى قبورهم فهذا لا ينافى ما قاله ابن التين من أن الأرواح إنما تعود إلى الأجساد يوم البعث لأن عود الأرواح إلى الأجساد يوم البعث هو الذى يقتضى أن تعود الأجساد إلى الحياة المشاهدة التى يترتب عليها جميع الأفعال الاختيارية بأقوى مما كانت عليه فى الدنيا . وأما حياة الأنبياء

فى قبورهم فهى حياة ملكوتية بها يقدرون على أفعال ملكوتية لا يشهدها ولا يرها إلا من يشاهد عالم الملكوت مثل نبينا صلى الله عليه وسلم الذى رأى موسى فى قبره يصلى إلا عيسى عليه السلام فإنه وإن أخذه الله إلى عالم الملكوت فإنه موجود فيه كما كان موجودا فى الأرض عالم الملك لأنه لم تمت بعد فهو حى بحياته الدنيوية التى ولد عليها لم تفارق . روحه جسده وإن كان فى عالم الملكوت فهو فى حراسة الله إلى أن يرجعه الله إلى عالم الملك (أى الأرض) ويقتل الدجال ثم يموت كما مات أخوانه الأنبياء ويدفن فى الأرض وهذا هو معنى نزول عيسى الذى جاءت به الأخبار الصحيحة وليس معناه الانتقال من مكان عال إلى مكان سافل كما فهم السائل .

وأما قوله فما معنى قوله تعالى « إنى متوفيك » وقد قال تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » ولم يقل بنوم عيسى إلى يومنا هذا أحد الخ . فنقول إن السائل باستشهاده بالآية كأنه قصر تفسير التوفى على شيئين فقط التوفى بمعنى الموت والتوفى بمعنى النوم وإنما فعل ذلك ليتسنى له إيراد اشكال على التوفى بمعنى النوم وهو قوله لم يقل أحد بنوم عيسى إلى يومنا هذا . فنفيده أن معنى التوفى ليس قاصراً على هذين المعنيين فإن المفسرين ذكروا أوجها كثيرة فى معنى التوفى والصحيح قول القرطبى إن الله رفعه من غير وفاة أى موت ولا نوم وهو اختيار الطبرى والرواية الصحيحة عن ابن عباس ومعنى الوفاة يحتمل على اختيار الطبرى أربعة أوجه الأول بمعنى الإماتة فى المستقبل وهو قول الفراء إن فى الكلام تقديما وتأخيرا تقديره رافعك ومطهرك ومتوفيك بعد إنزالك من السماء

الثانى بمعنى القبض وهو قول ابن زيد متوفيك قابضك من الأرض. الثالث: أنه بمعنى ابقائه للأجل المقدر له والأماتة بعده. وهو قول الزمخشرى فى الكشاف أى إنى متوفيك أجلك ومعناه إنى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخر أجلك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم

الرابع أنه بمعنى الاماته فى المستقبل وإن الواو فى قوله ورافعك إلى لا تفيد الترتيب لأنها لمطلق الجمع فلا فرق بين التقديم والتأخير وهذا الوجه يرجع إلى الوجه الأول أى إلى قول الفراء. بقى الوجهان اللذان اقتصر عليهما السائل أحدهما الوفاة على ظاهرها وأنها وقعت قبل رفعه توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه اليه وقد ورد ذلك فى رواية ضعيفة عن ابن عباس وذكر ابن اسحاق أنها من زعم النصارى

الثانى ان المراد بالوفاة هنا النوم ومثله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى ينيمكم قال فى فتح البيان: وبه قال كثيرون قال الوسى روى عن الربيع أن الله تعالى رفع عيسى إلى السماء وهو نائم رفقا به، ولم يذكروا لأصحاب هذا القول أن عيسى عليه السلام هل استيقظ من النوم بعد رفعه أم يستمر نائما إلى أن ينزل، وعلى فرض أنه يستمر نائما فان الله يحفظه فى المحل الذى رفع اليه ويصونه عن الموت فى هذه المدة الطويلة كما صان أهل الكهف فيه لمدة ثلثمائة سنة وتسع عن الموت والهلاك بلطفه وكرمه بأن حفظ أجسادهم من أن تأكلها الأرض والله على كل شىء قدير. فأصحاب هذا الوجه على تقدير الفرض كأنهم قائلون بنوم عيسى إلى الآن والله أعلم فبطل قول السائل: لم يقل بنوم عيسى إلى يومنا هذا أحد

وأما قوله مع أن صيغة متوفيك وأخواتها تخصصت للاستقبال بقوله الى يوم القيامة . ويريد السائل أن يجعل (إلى يوم القيمة) متعلقاً بجميع ماقبله الذى منه (متوفيك) بمعنى منيمك إلى يوم القيمة فنقول أن الجار والمجرور كما قال المفسرون متعلق بالجعل يعنى جاعل المتبعين لك إلى يوم القيمة فوق الذين كفروا أو متعلق بالاستقرار المقدر فى الظرف يعنى استقر وثبت علو متبعيك إلى يوم القيمة، وعلى كل حال فالجار وقع فى جملة فهو المرتبط بها وأخذ له متعلقاً منها وقضى الأمر فلا يمكن بعد ذلك أن يبحث له عن متعلق من الجمل التى قبل الجملة التى هى جزء منها لأنه لا ارتباط بينه وبينها. نعم ان المراد من متوفيك أنه متوفيه فى المستقبل وهذا لا يقتضى الا أنه تقع الوفاة فى دار الدنيا فى المستقبل ولا يقتضى وقوعه فى الحال ولا فى الماضى ولا شك أن عيسى عليه السلام وأن كان الآن حياً لكنه سيموت فى المستقبل كما تقدم ألا ترى إلى قوله تعالى فى خطابه لسيد الخلق (انك ميت وأنهم ميتون) فان المراد من هذه الآية الموت فى المستقبل وهذا لا يقتضى أنه بمعنى ميت الآن بل يفيد أنه سيموت وهذا مما لاشك فيه

وأما قوله وأما الرفع بقوله (ورافعك الى) فرفع تعظيم وتكريم لعيسى لا رفع جهة فانه ممنوع عند عامة المسلمين فهو مسلم بالنظر الى الله تعالى وأما بالنظر إلى عيسى فغير مسلم ، ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام انى الى ربى وإنما ذهب ابراهيم من العراق إلى الشام أو يكون قوله (ورافعك الى معناه أنه يرفع الى مكان لا يملك الحكم فيه غير الله والله أعلم بذلك المكان(١) كما قدمنا .

(١) بل ذلك المكان هو السماء كما فى الأحاديث والاثار التى لم يقف عليها شيخنا رحمه الله

وأما قوله فإن قلنا إن عيسى مات ثم أحي ثم رفع فتلك مسألة تلزمنا ثلاث موتات وثلاث إحياءات وقد قال تعالى على لسان أهل النار (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقال تعالى يحصر الموت فى الموتتين والاحياءين (هو الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) الخ.

فنقول أن ذكر الاماتة والاحياء تكرر مجيئه فى آيات من القرآن:

الآية الأولى قوله تعالى حكاية عن الكافرين (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقد اختلف فى المراد منها فقيل أرادوا بالاماتة الأولى خلقهم أمواتا وبالثانية أماتتهم المعهودة عند انقضاء آجالهم وبالاحياءة الأولى نفخ الروح فيهم وهم فى الارحام وبالثانية البعث وهذا مروى عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة وجعلوا هذا نظير آية البقرة (كيف تكفرون) الآية. والاماتة إن كانت حقيقة فى جعل الشيء عادم الحياة سبق بحياة أم لا فالأمر ظاهر وإن كانت حقيقة فى تصيير الحياة معدومة بعد أن كانت موجودة كما هو ظاهر كلامهم ففى اطلاقها على ما عدا اماتة أولى خفاء ووجه بأن ذلك من باب المجاز وفى تشخيص هذا المجاز كلام للمفسرين ولعلماء البلاغة أعرضنا عنه لطوله ولكونه ليس مقصودا من هذا السؤال وقال السدى المراد بالاماتة الأولى اماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءة الأولى احياءتهم فى القبر للسؤال وبالاماتة الثانية اماتتهم بعد هذه الاحياءة وبالاحياءة الثانية احياءتهم للبعث. أقول وسيأتى أنه أبعد الأقوال. وقال ابن زيد: أريد احياؤهم نسما عند أخذ العهد عليهم من صلب آدم ثم

اماتتهم بعد ثم احياؤهم فى الدنيا ثم اماتتهم ثم احياؤهم . وهذا صريح فى أن الاحياآت ثلاث. الآية الثانية قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وهذه الآية مسوقة للامتنان وفى المراد منها أقوال: فالمروى عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد هو أن المراد بالموت الأول العدم السابق والإحياء الأول الخلق والموت الثانى المعهود فى الدنيا والحياة الثانية البعث. واختار آخرون أن الموتة الأولى هى وقت استقرارهم نطفا فى الارحام والحياة الأولى نفخ الروح فيهم وهم فى الارحام والإماتة هى المعهودة والاحياء هو البعث قال الآلوسى : ولعل الثانى أقرب من الأول واطلاق الأموات على تلك الأجسام مجاز أن فسر الموت بعد الحياة عمن اتصف به وحقيقة أن فسر بعدم الحياة عما من شأنه قال السيلكوتى .

القول الثالث — وهو أبعدها — حمل الموت الأول على المعهود بعد انقضاء الأجل والاحياء الأول على ما يكون للمسألة فى القبر .

الآية الثالثة أنه تعالى بعد وصف أهل الجنة بما هم فيه من الخيرات والراحات بين أن حياتهم دائمة فقال «لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» جملة مستأنفة أو حالية كأنه أريد أن يقال لايذوقون فيها الموت ألبتة . فوضع الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فإنهم يذوقونها ونظيره قول القائل لمن يستسقيه لاأسقيك إلا الجمر وقد علم أن الجمر لايسقى فالاستثناء متصل وقيل الاستثناء منقطع أى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها فى الدنيا والأصل اتصال المستثنى. أقول وكون المراد أنهم لايذوقون

فيها الموت البتة يتفرع على كل من الاتصال والانقطاع . وقال الطبرى إلا بمعنى بعد والجمهور لم يثبتوا هذا المعنى لها . وقال ابن عطية : ذهب قوم إلى أن إلا بمعنى سوى وضعفه الطبرى .

الآية الرابعة أنه تعالى بعد ما تمم كلام بعض أهل الجنة مع قرينه من أهل النار أخبر أنه عاد إلى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال «أفما نحن بميتين» الهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أى أنحن مخلدون فما نحن بميتين أى ممن شأنه الموت «إلا موتتنا الأولى» التى كانت فى الدنيا قاله تصديقاً لقوله تعالى « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» يعنى أن حياتهم دائمة والاستثناء مفرغ من مصدر مقدر كأنه قيل أفما نحن بميتين موتة إلا موتتنا الأولى. وجوز أن يكون منقطعاً أى لكن الموتة الأولى كانت لنا فى الدنيا. أقول وعلى القولين المراد نفى موتهم فى الجنة ألبتة

الآية الخامسة يخبر تعالى عن كفار مكة المنكرين للبعث فقال «إن هؤلاء» أى كفار قريش «ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى» أى ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية « وما نحن بمنشرين » أى بمبعوثين بعدها وتوصيفها بالأولى ليس لقصد مقابلة الثانية ، قال أبو على ليس من شرط كونه أولا أن يكون بعده آخر وإنما الشرط أن لا يتقدم عليه غيره : وقيل إنه قيل لهم إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل «وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » فقالوا إن هى إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن تتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة وهذا ما ارتضاه جار الله. قال الآلوسى: والانصاف أن

حمل الموتة الأولى هنا على التى بعد الحياة الدنيا أظهر من حملها على ماقبل الحياة من العدم بل هى المتبادرة إلى الفهم عند الاطلاق المعروفة بينهم وأمر الوصف بالأولى على ماسمعت أولا

فالآيات التى جاء فيها ذكر الاماتة والاحياء لاتدل واحدة منها على ماذكره السائل من حصر الموت فى موتتين لعدم وجود مايدل على الحصر فيها فضلا عن اختلاف المفسرين كما سمعت . فالحق أن الموت لم ينحصر فى موتتين

ألا ترى إلى قوله تعالى (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) الاستفهام هنا للتقرير والرؤية المذكورة هنا هى رؤية القلب لا رؤية البصر والمعنى عند سيبويه تنبه إلى أمر الذين خرجوا ولا تحتاج هذه الرؤية إلى مفعولين ويجوز أن تكون بمعنى الرؤية البصرية أى ألم تنظر إلى الذين خرجوا (وهم ألوف حذر الموت) أى مخافة الطاعون (فقال لهم الله موتوا) أمر تكوين وتحويل وهو عبارة عن تعلق ارادته بموتهم دفعة أو تمثيل لاماتته سبحانه اياهم ميتة نفس واحدة كأنهم أمروا فأطاعوا فماتوا (ثم أحياهم) عطف على مقدر يستدعيه المقام أى فماتوا ثم أحياهم . ولا يشكل موت هؤلاء فى الدنيا مرتين مع قوله تعالى (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) لأن ذلك لم يكن عن استيفاء آجالهم كما قال مجاهد وإنما هو موت عقوبة فكأنه ليس بموت وايضاً هو من خوارق العادات فلا يرد نقضاً ومن الناس من قال ان هذا لم يكن موتاً كالموت الذى يكون وراءه الحياة للنشور وانما هو انقطاع تعلق الروح عن الجسد قال الآلوسى هذا القول فى القلب منه شىء بل أشياء اهـ أقول على أنك قد علمت ان المراد من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الآية وقوله

تعالى أفما نحن بميتين الآية نفى الموت فيها البتة فلا دلالة فى واحدة منهما على حصر الموت فى موتتين حتى يحتاج إلى جواب عن ذلك .

وإلا ترى أيضا قوله تعالى:(أو كالذى مر على قرية) عطف على سابقه أى ألم تر إليه كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود قيل هو عزيز أو ارمياء من سبط هرون وهو الخضر بعينه أو حزقيل ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله على إحياء خلقه بعد إماتتهم لا تعريف ذلك المار (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها يعنى سقط السقف أولا ثم سقطت الحيطان عليه (قال) أى ذلك المار فى نفسه أو بلسانه (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) أى متى يحيى أو كيف يحيى وهو استبعاد لإحيائها وهى على تلك الحالة فالمشار إليه هو نفس القرية فالإحياء والإماتة مجازان وقيل المشار إليه أصحاب القرية فالإحياء والإماتة على حقيقتهما وقيل عظام أهل القرية البالية وجثثهم المتفرقة فالإحياء والإماتة على حقيقتهما أيضا والراجح القول الأول لأنه لم تتعلق إرادة الله بإحيائهم كما تعلقت إرادته بعمارتها ولما قال المار هذه المقالة مستبعدا لإحياء القرية المذكورة بالعمارة لها والسكون فيها ضرب الله له المثل فى نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه فقال (فأماته الله مائة عام) أى فألبثه ميتا مائة سنة (ثم بعثه) أى أحياه ليريه كيفية ذلك وإيثار البعث على الإحياء للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على البارى سبحانه وتعالى وللإيذان بأنه قام كهيئته يوم مات عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال وكان ذلك بعد عمارة القرية .

وهاتان الآيتان صريحتان فى أن الموت لا ينحصر فى موتتين .

وأما قول السائل هو الذى خلقكم ثم رزقكم الخ فالآية هكذا : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم الخ) لا كما قال من أنها هو الذى خلقكم ثم رزقكم الخ فليس

هذا السياق من القرآن، ونقول بعد تصحيح مطلعها «الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء» إنها ليست مما نحن فيه بل المراد منها كما قال الألوسى أنها وقعت خبرا معنى فكأنه قيل الله الخالق الرازق المميت المحيى لا يشاركه شىء ممن لا يفعل إفعاله هذه، وبعضهم جعلها خبرا بتقدير القول فكأنه قيل الله الموصوف بكونه خالقا ورازقا ومميتا ومحييا مقول فى حقه هل من شركائكم من هو موصوف بما هو موصوف به اه. وعلى كل فالمقصود الاحتجاج على المشركين وبيان بطلان ما زعموه من وجود شريك له تعالى عما يقول المشركون علوا كبيرا .

وأما قوله وإن قلنا بخلوده فقد ترون الآية وهى قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) فقد نص الله على عدم خلودهم وإنهم أجساد يأكلون الطعام وعيسى بن مريم منهم كان هو وأمه أجسادا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وكذلك قوله تعالى (أفاين مت فهم الخالدون) فنقول : الخلود هو دوام البقاء فى دار لا يخرج منها ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها وعلى هذا بقاء عليه السلام حيا إلى قرب الساعة لا يقال له خلود لأن عاقبته أن ينزل ويقتل الدجال ثم يموت ويدفن فى الأرض فحينئذ يكون خرج من دار الدنيا وأما قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفاين مت فهم الخالدون) فمعناه أن الله قضى أن لا يخلد فى الدنيا بشرا فلا أنت وهم إلا عرضة للموت فعيسى عليه السلام لا يقال فيه أنه خالد لأنه أيضا مع كونه حيا الآن عرضة للموت وسيموت بعد نزوله .

وأما قوله ولا يخفى على فضيلتكم ما رواه البخارى عن ابن عمر حين

خطبهم النبى بعد العشاء الأخيرة بخصوص عدم بقاء أحد من أهل الأرض على رأس المائة ولعل امرأ يجيب أن عيسى ليس من أهل الأرض فهذا أمر ثان يستدل عليه من تمسك بحديث المعراج الذى رواه البخارى أيضا فهذا أيضا حديث مضطرب فيه أولا اختلفت طرقه وصيغته وموضعه ولو سلمنا صحته فما أظنه الا راداً على المستدل لأن حديث المعراج يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين عرج به رأى آدم فى الأولى ويحيى وعيسى فى الثانية ويوسف فى الثالثة وإدريس فى الرابعة إلى آخره. فنقول أما الحديث الذى رواه البخارى فى انصرام القرن فقد أخرجه فى كتاب العلم وفى كتاب الصلاة عن ابن عمر قال صلى لنا رسول الله ﷺ العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام فقال (أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد) قال العينى فى كتاب الصلاة ولا يعترض على الحديث بعيسى لأنه ليس على وجه الأرض ولا بالخضر لأنه فى البحر ولا بهاروت وماروت لأنهما ليسا ببشر وكذا الجواب فى ابليس ويقال معنى الحديث لا يبقى ممن ترونه وتعرفونه فالحديث عام أريد به الخصوص، والجواب الاوجه فى هذا أن نقول إن المراد ممن هو على ظهر الأرض أمته وكل من هو على ظهر الأرض أمته . المسلمون أمة اجابة والكفار أمة دعوة وعيسى والخضر ليسا داخلين فى الأمة والشيطان ليس من بنى آدم اه . أقول على أنك قد علمت أن عيسى لم يكن على وجه الأرض بل كان فى مكان يعلمه الله تعالى :

وأما عدم تسليمه لمن استدل بحديث المعراج بأن عيسى فى السماء للاضطراب فى تعين مكانه ففى رواية أنه فى الثانية وفى رواية أنه فى الثالثة وكأن السائل يريد أن الاضطراب على الوجه الذى قاله فى الحديث يسقط الاحتجاج به فنقول : ان المعراج مما أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الملحدون ودعوى

أنه وقع اضطراب فى حديثه يمنع الاحتجاج به غير مسلم، غاية الأمر أنه ورد بطرق متعددة منها الرواية التى فى سندها شريك انفرد فيها عن الجماعة بأشياء عدوها شاذة منكرة ونبهوا عليها وأجابوا عنها بأن شريكا واهم فيها وبعد هذا لا يسوغ لأحد أن يستشكل أو يتشكك فان رفع عيسى ثابت بالنص القاطع على اننا قد بينا أن كل ما رآه النبى ﷺ ليلة المعراج فهو من قبيل التمثيل فليس فى الحديث دليل على مكان عيسى خصوصا وأنه خبر آحاد إلى آخر ما ذكرنا ، بل الذى يدل على رفع عيسى هو النص القاطع وهو قوله تعالى (ورافعك إلى) وقوله (بل رفعه الله اليه) فلا يؤثر فى ذلك عدم تعيين مكانه . والأحاديث الوارده فى نزوله كثيرة ومتواتره وسنذكر ما عثرنا عليه منها قريبا وقد بينا فيما سبق ان رفعه كناية عن أخذه من عالم الملك (اى الأرض) إلى عالم الملكوت وأنه موجود فيه كما كان موجودا فى عالم الملك فهو حى بحياته الدنيوية التى ولد عليها لم تفارق روحه جسده وان كان فى عالم الملكوت .

وأما قوله فاذا أخذ دليلا فهل هم فيما وراء البرزخ أم كلهم أحياء فى السماء وما الذى امتاز به عيسى بالنزول دونهم وإذا كانوا فيما وراء البرزخ ومن جملتهم عيسى فهل يجوز لعيسى أن يرجع إلى الدنيا وقد قال تعالى « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى » فنقول يريد السائل بهذا الترديد أن النبى ﷺ لما أخبر عن ليلة المعراج أنه رأى جماعة من الانبياء فى السموات ومن جملتهم عيسى فهل رؤيته لهم كما يرى الشخص منا أناساً سبق موتهم أم رؤيته لهم كما يرى الشخص منا أناساً هم على قيد الحياة ؟ فنجيب أن كلا الترديدين باطل لانه ينبنى على كون الرؤية برزخية ان المعراج كان فى المنام وان عيسى مات

قبل الرفع واستمر ميتاً وأن النبي ﷺ رآه ليلة المعراج مع من رأى من الأنبياء ، ويبتنى على كون الرؤية كما يرى الشخص منا أناسا على قيد الحياة أن المعراج حصل يقظة وأن عيسى لم يمت قبل الرفع وأن الأنبياء الذين ثبت موتهم عادت أرواحهم إلى أجسادهم وعود أرواح الأنبياء إلى أجسادهم قبل يوم البعث باطل . ثم إن السائل رتب على الشق الأول من الترديد قوله : وما الذى امتاز به عيسى بالنزول دونهم وقوله تعالى (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) إذا تبين لك مقاله وما يرمى إليه فنقول أما بطلانه بالنظر إلى عيسى فقد كان المعراج يقظـــة وعيسى لم يمت وأما بالنظر إلى الأنبياء فلا نسلم عود الأرواح إلى أجسادهم على الوجه الذى كان فى الدنيا قبل يوم البعث ، وقد علمت بطلانه ، والحق الذى يقتضيه الدليل أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة وأن المعراج كان يقظة وأن من عدا عيسى من الأنبياء أموات إلا أن الله تعالى شكل أرواحهم على هيأة أجسامهم وإنما تعود الأرواح إلى الأجسام يوم البعث إلا عيسى فإنه حى لم يمت وسينزل إلى الأرض ثم بعد قتله الدجال يموت كإخوانه الأنبياء بهذا وردت الأخبار الصحيحة . وأما امتياز عيسى بالنزول دونهم فقد نقل الحافظ ابن حجر عن بعض العلماء إنه قال: والحكمة فى نزوله دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود فى زعمهم بأنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذى يقتلهم أو نزوله لدنو أجله ليدفن فى الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت فى غيرها اﻫ . وعلى ذلك لا يقال أن عيسى كان فى البرزخ ثم رجع إلى الدنيا ولا أن الأنبياء الذين ماتوا عادت أرواحهم إلى أجسادهم قبل يوم البعث .

وأما قوله : وأما من استدل بحديث البخارى وغايته إن صح فهو لا ينص على أنه عيسى بن مريم النبى لأن لفظه (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال) والرواية الأخرى (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم) . فغاية ما فيه أنه سيتولى الأمر ابن مريم ولعله من أفراد الأمة يقوم بالأمر ويعمل بالشرع فيجرى هذه الأعمال لا ينص على أنه النبى الذى أرسله الله إلى بنى إسرائيل . فنقول الذى عهد وعرف من الشارع أنه فى تخاطبه إذا ذكر ابن مريم يقصد به عيسى عليه السلام ففى الكتاب العزيز قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) وقوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وستأتى أحاديث كثيرة مصرح فيها بلفظ عيسى عليه السلام وفى هاتين الروايتين اكتفى بقوله ابن مريم اعتمادا على ما صرح باسمه فى روايات أخرى على أنه سيأتى فى أكثر الأحاديث والآثار المروية عن الصحابة والتابعين التصريح باسم عيسى عليه السلام .

وأما قوله : ولنا شيء آخر أدهى وأمر فى المسألة وهو أن أهل التفسير بينوا أن عيسى توفى ساعات وقالت النصارى كذلك واختلفوا فى مقدار الساعات عدا لا غير لترويج الدسيسة كيف يحيا عيسى ويصعد إلى السماء وسينزل أيكون الحشر حشرين أم تكون الإماتة ثلاثا سبحانك هذا بهتان عظيم دسه النصارى فى الإسلام .

أقول ذكرنا فيما سبق أن القول بأن عيسى مات رواية ضعيفة عن ابن عباس مخالفة للقول الصحيح الذى عليه الأكثر . وأن ابن إسحاق قال إنها من زعم النصارى فلا نتكلف الرد على هذا القول لظهور بطلانه

وأما قوله : وقد التبس على بعض الناس فى لفظ النزول أنه سينزل وما المراد من النزول ؟ أنه فى السماء وسينزل فقد قال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) المراد من النزول الحصول وقالت العرب نزل علينا أو بنا ضيف أفتونا ماجورين .

ونقول النزول كالهبوط لا يقتضى الانحدار من علو إلى سفل وقد جاء بمعنى الجعل والانشاء قال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) قال الحسن وانزلنا الحديد أى خلقناه كقوله تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) وهو تفسير بلازم الشىء فان كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته فى اللوح وتقديره موجوداً حيث ثبت فيه وقال قطرب هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم من نزل الضيف ولم يقل احد ان نزول عيسى بمعنى الانحدار بل المراد بنزول عيسى هو اتيانه من المكان الذى رفعه الله اليه وهذا المكان هو كما قلنا سابقاً من عالم الملكوت ولا يعلم تعيينه الا الله تعالى لأنه هو الذى حفظه فيه وهو الذى ينزل منه عند قرب الساعة أى ينتقل .

وبالجملة فكل ما قاله السائل ليس الا تشكيكا فى القطعيات الثابتة بالتواتر فان نزول عيسى عليه السلام كما قال بعض المحققين ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة

أما الكتاب فقد قال تعالى « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان وهذا يرجع إلى أن الضمير

فى (به) وفى (موته) يعود إلى عيسى عليه السلام ويشهد له الحديث الذى أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب (خ الجزية) ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها» ثم يقول أبو هريرة واقرأوا ان شئتم «وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» قال الحافظ: وهذا مصير من أبى هريرة إلى أن الضمير فى قوله الا ليؤمنن به وكذلك فى قوله قبل موته يعود على عيسى أى الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه باسناد صحيح ومن طريق أبى رجاء عن الحسن قال قبل موت عيسى والله انه الآن لحى ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون. ونقله عن أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره ونقل أهل التفسير فى ذلك أقوالا أخر

وقال الآلوسى فى تفسيره: (وانه) أى عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) أى انه بنزوله شرط من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ماينكره الكفرة من الأمور الواقعة فى الساعة وأيا ما كان فعلم الساعة مجاز عما تعلم به والتعبير به للمبالغة وقرأ أبى لذكر وهو مجاز كذلك وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وأبو مالك الغفارى وزيد بن على وقتادة ومجاهد والضحاك ومالك بن دينار والأعمش والكلبى - قال ابن عطية وأبو نضرة - لعلم بفتح العين واللام أى لعلامة وقرأ عكرمة قال ابن خالويه وأبو نضرة للعلم معرفا بفتحتين والحصر اضافى وقيل

باعتبار انه أعظم العلامات وقد نطقت الاخبار بنزوله عليه السلام فقد أخرج البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «لينزلن ابن مريم حكما عادلا (خ عدلا) فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص[1] فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد» وفيه رواية «وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين[2] كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فليقاتلن الناس على الإسلام»[3] وفيه «ويهلك المسيح الدجال» وفى اخرى قال قال رسول الله ﷺ «كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم» وفى رواية فأمكم منكم، فقلت لابن أبى ذئب (القائل الوليد بن مسلم) ان الأوزاعى حدثنا عن الزهرى عن نافع عن أبى هريرة وامامكم منكم) قال ابن أبى ذئب هل تدرى ما امكم منكم؟ قلت تخبرنى قال فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ اه لفظ مسلم: قال ابن أبى ذئب تدرى ما أمكم منكم قال

---

(١) جمع قلوص الفتاة من الابل

(٢) الممصرتان حلتان مصفرتان غير مشبعتين اه قال فى التعليق المحمود الممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة اه

(٣) عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (ليس بينى وبينه يعنى عيسى عليه السلام نبى وأنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون اه لفظ أبى داود

تخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ والمشهور نزوله عليه السلام بدمشق والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الإمام وهو المهدى فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه ويقول إنما أقيمت لك وقيل بل يتقدم هو ويؤم الناس والأكثرون على اقتدائه بالمهدى فى تلك الصلاة دفعاً لتوهم نزوله ناسخاً وأما فى غيرها فيؤم هو الناس لأنه الأفضل ، والشيعة تأبى ذلك وفى بعض الروايات أنه عليه السلام ينزل على ثنية يقال لها أفيق بفاء وقاف بوزن أمير وهى هنا مكان بالقدس الشريف نفسه ويمكث فى الأرض على ما جاء فى رواية عن ابن عباس أربعين سنة وفى رواية سبع سنين قيل والأربعون انما هى مدة مكثه قبل الرفع وبعده ثم يموت ويدفن فى الحجرة الشريفة النبوية وتمام الكلام فى البحور الزاخرة للسفارينى . وأما السنة فالحديث المذكور آنفاً عن أبى هريرة أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما ممن ذكرنا

٢ — وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (كيف أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيكم وامامكم منكم) أخرجه مسلم

٣ — وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق إلى أن قال فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم) الخ . أخرجه مسلم .

٤ — وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال (ان روح الله عيسى بن مريم نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه الخ) أخرجه الحاكم وقال صحيح

٥ — وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ (ليهبطن عيسى ابن مريم حكما واماما مقسطا) الخ . أخرجه الحاكم

٦ — وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم) أخرجه ابن أبي شيبة

٧ — وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ (ينزل عيسى بن مريم قبل يوم القيامة) أخرجه ابن سعد

٨ — وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ (لا تزال عصابة من أمتي على الحق ظاهرين حتى ينزل عيسى بن مريم) أخرجه ابن عساكر

٩ — وعن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم صل لنا) الخ أخرجه مسلم

١٠ — وعن جابر عن النبي ﷺ (يخرج الدجال فى خفقة من الدين وادبار من العلم) إلى أن قال (ثم ينزل عيسى الخ) أخرجه ابن خزيمة

١١ — وعن حذيفة عن النبي ﷺ (فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم أمامهم) الخ أخرجه ابن عساكر

١٢ — وعن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال (ماتذاكرون) قالوا نذكر الساعة قال (أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم) الخ أخرجه مسلم والترمذى وأبوداود وابن ماجه

١٣ — وعن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فى جزيرة العرب والدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم) الخ أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد

١٤ — وعن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة إلى أن قال (فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق) الخ أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه .

١٥ — وعن أوس بن أوس عن النبي ﷺ (ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق) أخرجه الطبراني .

١٦ — وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فبعث الله تعالى عيسى بن مريم) الخ أخرجه مسلم .

١٧ — وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له) الخ قال في المشكاة رواه ابن الجوزي في كتاب الوفا(١) .

١٨ — وعن مجمع بن جارية الأنصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (يقتل ابن مريم الدجال بباب لد) أخرجه الترمذي .

١٩ — وعن أبي أمامة الباهلي قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرنا إلى أن قال (فبينما أمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى بن مريم) الخ أخرجه ابن ماجه .

٢٠ — وعن عثمان بن أبي العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إلى أن قال (فيخرج الدجال فينزل عيسى بن مريم) الخ أخرجه الحاكم وقال صحيح

٢١ — وعن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ وذكر الدجال ثم قال

---

(١) كتاب الوفا بفضائل المصطفى للحافظ ابن الجوزي صاحب كتاب الموضوعات ، وهو غير ابن قيم الجوزية

(ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد على ملته أماماً مهديا وحكما عدلا فيقتل الدجال) أخرجه الطبرانى

٢٢ — وعن سمرة عن النبى ﷺ وذكر الدجال ثم قال (فيصبح فيهم عيسى بن مريم) الخ أخرجه الطحاوى وابن جرير

٢٣ — وعن نافع بن كيسان عن أبيه سمعت النبى ﷺ يقول (ينزل عيسى) أخرجه البخارى فى تاريخه

٢٤ — وعن ابن عباس عن النبى ﷺ (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم على ذروة أفيق بيده حربة يقتل الدجال) أخرى ابن عساكر

٢٥ — وعن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ (ينزل عيسى بن مريم فإذا رآه الدجال ذاب كما تذوب الشحمة فيقتل الدجال) أخرجه ابن أبى شيبة

فهناك خمسة وعشرين حديثا عثرنا عليها فى بطون كتب السنة . وقال صاحب الإذاعة: والأحاديث فى نزوله كثيرة ذكر الشوكانى منها تسعة وعشرين حديثا ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر ، ثم قال منها ما هو مذكور فى أحاديث الدجال ومنها ماهو مذكور فى أحاديث المنتظر وينضم إلى ذلك الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فى ذلك . ثم ساقها ثم قال: وجميع ماسقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع. فتقرر أن الأحاديث الواردة فى المهدى المنتظر متواترة والأحاديث الواردة فى نزول عيسى بن مريم متواترة ا هـ . قال العلامة المحقق أبو عبدالله محمد بن أبى الفيض جعفر الحسنى الادريسى الشهير بالكتانى فى كتابه نظم المتناثر ما نصه ، وللقاضى العلامة محمد بن على الشوكانى اليمنى رسالة سماها التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح وتكلم أولا على المهدى ثم

ساق ما قدمناه آنفا عن الإذاعة فى نزول عيسى بن مريم عليه السلام

ولنورد لك شيئا من تفاسير التابعين ممن صرحوا بنزول عيسى بن مريم على طريق الاستئناس والتقوية لما مر من الأحاديث ولأن أقوال التابعين فى مثل ذلك تسمى أثراً على الصحيح .

فعن قتادة فى قوله تعالى (وأن من أهل الكتاب) الخ قال قبل موت عيسى إذا نزل آمنت الاديان كلها .

وعنه فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة.

وعن مجاهد فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) قال آية الساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة .

وعن السدى فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) قال خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة .

وعن الضحاك فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) قال خروج عيسى بن مريم و نزوله من السماء قبل يوم القيامة .

وعن ابن زيد فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حين ينزل .

وعنه فى قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب) الخ قال إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدجال لم يبق يهودى فى الأرض إلا آمن ،

وعن أبى مالك فى قوله تعالى (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال ذلك عند نزول عيسى بن مريم

وعن الحسن فى قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب) قال قبل موت عيسى والله أنه الآن لحى عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون .

وعنه فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) قال نزول عيسى بن مريم

وعن ابن عباس فى قوله تعالى (وأنه لعلم للساعة) نزول عيسى بن مريم

وهذا القدر كفاية. وبه علم أن نزول عيسى بن مريم ثابت بالكتاب كما أسلفنا وبالسنة المتواترة كما مر آنفاً خصوصاً وأن من جملتها الحديث (لا تزال طائفة من أمتى) فقد عده العلامة الشيخ محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه نظم المتناثر. من الحديث المتواتر. وقال: نص على تواتره بعينه شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم فى أوائله أثناء كلام ونصه : بل قد تواتر عنه ﷺ أنه قال (لا تزال من أمتى طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة) اهـ والله اعلم .

وأما الأجماع فقال السفارينى فى اللوامع : قد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد اجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية . وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها اهـ . والله أعلم .

تم طبع الكتاب سنة ١٣٩٨ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير
لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ
يس يوسف الشيشيني
من علماء الوعظ والإمامة بوزارة الأوقاف

فضيلة المحدث الكبير السيد عبدالله الصديق الغماري .

أحمد إليك الله جل ثناؤه . وهو المحمود فى السموات وفى الأرض . وأشكره شكرا تزكو به الهمم ، ويصدق به اليقين ، وتسمو به العقيدة . وأسألك اللهم وأنت خير مأمول وأكرم مسئول أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه صلاة تشرح بها صدرى وتيسر بها أمرى ، ويثبت بها على الحق الجنان ، وأجد بها حلاوة الإيمان . وسلم تسليما كثيرا «وبعد» .

فكم لقلمك فى خدمة الحقيقة من موقف يتضاءل عنه الثناء ، وترنو له فى دارتها الجوزاء ، وكم تطالع المسلمين من لدنك حجيج بينات ، وآيات واضحات تدحض تخاريف المبطلين ، وزيغ المكابرين المعاندين ، ولكم تشوقت بفارغ الصبر إلى كتابك هذا الذى نحن بصدد تقديره ، والكتابة عن بعض ما توخيته فيه من منهج فى الأدلة لا يبقى معه إنكار لمنكر ، ولا شبهة لمشتبه . فى مبحث ما كان لأحد أن يتقدم أو يتأخر فيه ، وما كان لمتكلم أن يحدث رأيا بخصوصه بعد أن أبان صباح السنة المطهرة حقيقة أمره . ثم وبعد أن توالت القرون منذ عهد النبوة حافلة بإجماع العلماء عصراً بعد عصر ، وقبيلا بعد قبيل على أن شمس الحقيقة فيه مسفرة لا يغشى سماءها غمام من الشك

ولا يحول دون أضوائها ضباب من الباطل ، ذلكم هو مبحث نزول السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام على مقربة من الساعة وعلى نار من الفتن تستعر بالعالم حين ذاك : تلك الفتن التى من أكبرها خروج الدجال بخدعه وتهاويله ليضل الناس عن سبيل الله وليعدل بهم عن الإيمان إلى الكفر . وأنا لا أرى إلا أن منكر نزول روح الله عيسى بن مريم قد بنى مدعاه على أنه قد مات كما يموت الناس فلا حياة له بعد ذلك إلا كما يحيا الناس فى النشأة الآخرة مستنداً فى مدعاه إلى النص الكريم من قول الله سبحانه «إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا» ثم إلى قوله جل وعلا فى سورة المائدة «وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد» . وكم كنا نود أن يقف أولئك المنكرون من هذه النصوص القرآنية موقف المتفهم للغته الكاشف عن كنه حقيقتها . وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضاً فإنا نرى فى غير موضع أن كلمة التوفى فى القرآن قد وضعت للنوم كما وضعت للموت ، فالله سبحانه وتعالى يقول «وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار» فالوفاة كما هى حقيقة فى الموت حقيقة أيضا فى النوم ولا قرينة هنا تعين المجاز إذا ما قال قائل : إن المراد من إطلاق الوفاة على النوم معنى مجازى . استمع إلى ذلك فى قول الله عز وجل «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى» ، وإلى قول الشاعر العربى :

تبارك من توفاكم بليل ويعلم ما جرحتم بالنهار

وإذا كان علماء اللغة قد أجمعوا على أن العطف بالواو إنما هو لمطلق الجمع دون نظر إلى ترتيب أو تعقيب فلا دليل على مرادهم فى قول الله سبحانه

(إنى متوفيك ورافعك إلى) إذ الواو لمطلق الجمع ليس غير . فيكون المعنى أن السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم قد رفع إلى السماء وهو على حالة النائم . وفى انجيل لوقا ما يؤيد ذلك ويجليه فقد جاء فى هذا الإنجيل (أن السيد المسيح عليه السلام صعد إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينماهو يصلى اذ تغير منظره عما كان عليه وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق ، واذا بموسى بن عمران وايليا قدظهرا له وجاءت سحابة فاظلتهم، فوقع النوم على الذين معه . ثم انتبهوا فلم يجدوا المسيح بينهم . فهل لدى المنكرين من دليل أو حتى قرينة تمنع من أن رفع المسيح على هذه الحال وهى حال النائم كان فى اليوم الذى طلبته فيه اليهود ؟ ثم نسائلهم بعد ذلك . ما المراد بالرفع ؟ فى قول الله سبحانه (بل رفعه الله اليه) بعد أن نفى قتل المسيح فى تنديد لاذع وتهكم قارع باليهود جاء به محكم التنزيل فى قول الحق جل ثناؤه (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) استمع إلى الآية الكريمة تبين لك فى وضوح أن قول اليهود بأنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله جرم كبير وافتراء مريع . ثم تنفى بعد ذلك القتل وتنفى معه الصلب وتثبت أنهم اشتبهوا فى أمر المصلوب فلم يقطعوا بأنه المسيح ، كما أن الآية الكريمة تثبت أيضا اختلافهم فيه وأنهم قتلوه غير مستيقنين بأنه عيسى أوغيره وهذا ما تؤيده الأناجيل ولولا الإطالة لأتينا على نصوصها ، ثم ختمت الآية هذا القصص الكريم بنبأ رفع المسيح اليه دون أدنى اشارة إلى الموت ، هذا ما ينبغى أن يفهم

عليه القرآن الكريم من أن السيد المسيح قد رفع إلى السماء حيا وفى روحانية تستأهل المكان الذى هو مرفوع اليه ، وتلائم معشر الملائكة الذين سيعيش فيهم حتى يشاء فاطر السموات والأرض نزوله فى آخر الزمان. أى أنه رفع على حال ليس فيها نائماً كالنائم ولا مستيقظاً كالمستيقظ كما صعد إلى السماء ليلة الإسراء نبينا ﷺ وان كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد صعد إلى السماء ببشريته ومستلزماتها وذلك مما هو خاص بسيد الأنبياء دون سواه أما المسيح عليه السلام فقد رفع ببشرته دون مقتضياتها وصار روحانياً لتناسب حياته مع حياة أهل الملأ الأعلى الذى سيقيم فيهم ما شاء الله أن يقيم والله على كل شىء قدير

وهنا لا يجوز على حال أن يؤول الرفع برفع الروح أو برفعة المقدار امتنان الله على المسيح بالرفع لا تكون له قيمة إلا إذا كان مرفوعا وهو حى وهذا ما يفيده الإضراب الانتقالى بعد نفى اليهود قتلوه ، وأما ماجنح اليه من يؤول الرفع برفعه المقدار فذلك أمر مقرر بنص الآية كما تنص على أن بعضهم أرفع درجة من البعض الآخر. (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) بل هو أمر تفضل الله به على عباده الصالحين الذين أخلصوا له النيات والأعمال ، وعلى هذا فليس سائغاً أن يراد يراد هذا التأويل الا مع قرينة صارفة عن غيره اليه

أما مسألة نزول السيد المسيح فإنها كرفعه من المسائل التى يرجع فيها إلى الأدلة السمعية كسائر السمعيات. ولا يسع مؤمنا أن ينكر شيئا متى ثبت بالدليل وقد جاءت النصوص تؤيد ذلك وتثبته بما لا يحتمل إنكارا أو تلبيسا) ففى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا (والذى نفسى بيده ليوشكنى أن ينزل فيكم

ابن مريم حكماً عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفاض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها) ثم قال أبو هريرة واقرأوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فلقد قطع أبو هريرة رضى الله تعالى عنه على كل ذى قول مقالته بهذا النص القاطع الذى لا شك معه لمتحير ، ولا شبهة فيه لمتردد . إذ الآية صريحة فى أنه ليس من أحد من أهل الكتاب الموجودين إبان نزول المسيح الا سيؤمن به قبل أن يموت بالمدينة ويدفن إلى جانب قبر أخيه محمد ﷺ . وعن النبى ﷺ قال (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) يشير ﷺ إلى الإمام المهدى المنتظر رضى الله تعالى عنه إلى غير ذلك مما وصل الينا بتواتر جمع عن جمع ورواية جيل عن جيل لا يتأتى مع هذا التواتر وذاك الإجماع رأى لراء أو منزع لنازع فى غير الكتاب أو السنة منذ عهد النبوة الأولى حتى دونه أئمة الحديث كالشيخين وأحمد والترمذى ومن اليهم من أصحاب السنن رضى الله عنهم .

أى أستاذنا الأجل ومحدثنا الكبير لقد أبنت فى كتابك الحجة وكشفت الغمة فذكرت نصوص الحفاظ على تواتر نزول المسيح . وكذلك ذكرت من صريح بنزوله من أجلاء الصحابة وأفاضل التابعين وسادة الأئمة والعلماء ، حتى هذا العهد الذى نعيش فيه . هذا إلى مناقشة كلام المنكرين وبيان ما أشتمل عليه مما لا تقوم له قائمة مع وضح من الأدلة الساطعة . ثم دعمت ذلك بسرد أربعين حديثاً تصرح كلها بنزول عيسى عليه السلام ، بينت كل هذا جاريا على سننك فى نهج استدلالك بنواح حتى من قواعد الأصول والمنطق ، إلى غير ذلك مما أفاء الله عليك وأفاض ، ان فى ذلك لبلاغاً وذكرى لمن كان

على بصيرة تهديه ، أو عقل يرشده ، وان فيه لثروة طائلة لمن ينقب عن كنوز الحقيقة ليكون من المستبصرين ، وليفوز بالهداية من أحكم الحاكمين . ولقد أبيت مع كل هذا إلا أن تختم سفرك الجليل بفتوى فى هذا الباب للمرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية السابق رحمه الله وهذا وأيم الحق لأجل ما يخدم به العلم وتبتغيه الحقيقة الواضحة

فإليكم أيها الناس هذا السفر وغيره مما دبجته يراعة الصديق الغمارى مستمداً من ورد الشريعة المورود ، ورحيقها العذب الصافى ، أما أنت يا محدث العصر وعلم المحدثين فى مصر فليس فى مستطاعى ولا فى مستطاع أحد أن يوفيك حقك أو بعض حقك فذلك مرجأ إلى من يعلم السر فى السموات والأرض يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وإنما قصارى وسعنا أن يبتهل إلى الله بارىء النسيم أن ينسىء فى أجلك وأن ينفع بعلمك

صحيفة

صحيفة

تصويب

صفحة ٢٢ سطر ١٢ بابا لإثبات صفحة ٦٨ سطر ٥ وزندقة .

وقد وقعت بعض الأخطاء لا تخفى على فطنة القراء

بيان ما طبع من مؤلفات المؤلف

إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء
إعلام النبيل بجواز التقبيل
الأحاديث المنتقاه فى فضائل رسول الله ﷺ
الأربعون الغمارية فى شكر النعم
الأربعون الصديقية فى مسائل اجتماعية
الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء
الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين
إزالة الالتباس عما أخطأ فيه كثير من الناس
إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان
الحجج البينات فى إثبات الكرامات
حسن البيان فى ليلة النصف من شعبان
حسن التلطف فى بيان وجوب التصوف
سمير الصالحين : جزء أول
عقيدة أهل الإسلام — وهو هذا
قمع الأشرار عن جريمة الانتحار
نهاية الآمال فى صحة حديث عرض الأعمال
تنبيه الأواه إلى فوائد الصلاة

مطبعة مختار